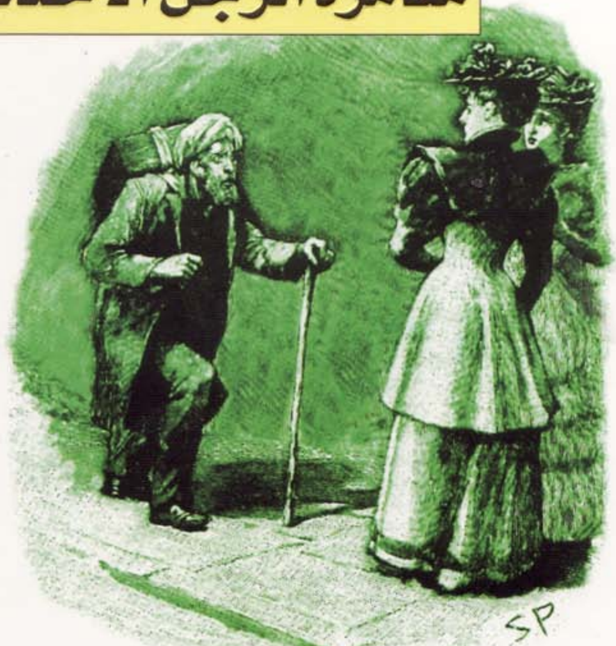
النص الكامل

مغامرات
شيرلوك هولمز

٢٠

تأليف:
آرثر كونان دويل

مغامرة الرَّجُل الأحْدَب



بالرسومات الأصلية

الأجيَال
للترجمة والنشر
AJYAL Publishers

النص الكامل

مغامرات

شيرلوك هولمز

٢٠

تأليف:
آرثر كونان دويل

مغامرة الرَّجُل الأحْدَب



بالرسومات الأصلية

الأجيال
للترجمة والنشر
AJYAL Publishers



بسم الله الرحمن الرحيم



ذكريات

شيرلوك هولمز

(٨)

مغامرة الرجل الأحدب

نُشرت للمرة الأولى في صحيفة «ستراند» الشهرية
في عدد تموز (يوليو) ١٨٩٣

تأليف: آرثر كونان دويل
ترجمة: سالي أحمد حمدي
تحرير: رمزي رامز حسّون

الأجيال
للترجمة والنشر

الطبعة الأولى
٢٠٠٧

العنوان الإلكتروني للناشر
info@al-ajyal.com

موقعنا على الإنترنت
www.al-ajyal.com



آرثر كونان دويل

وُلد آرثر كونان دويل لأسرة متوسطة الحال في إدنبرة في إسكتلندا في الثاني والعشرين من أيار (مايو) عام ١٨٥٩، والتحق بكلية الطب فيها وعمره سبعة عشر عاماً. وكان من مدرّسيه في الكلية الجرّاحُ الشهير الدكتور جوزيف بِلْ، وهو الذي أوحى إليه بشخصية شيرلوك هولمز التي ابتكرها بعد ذلك.

في عام ١٨٨٢ حصل دويل على شهادة الطب من جامعة إدنبرة، وكان يحلم بأن يصبح جرّاحاً وخبيراً في التشخيص مثل الدكتور بل، ولكن قلة المال اضطرته إلى العمل طبيباً على سفينة لصيد الحيتان.

. بعد ذلك مارس مهنته في منزل صغير استأجره في بعض ضواحي بورتْسماوث، ولكن عدد المرضى كان قليلاً فاتجه إلى الكتابة أملاً في الحصول على بعض الدخل الإضافي. وقد كتب بعضاً من قصص المغامرات لمجلاّت الفتيان، ولكن أجره عنها كان ضئيلاً، وفشلت روايته الأولى في العثور على ناشر.

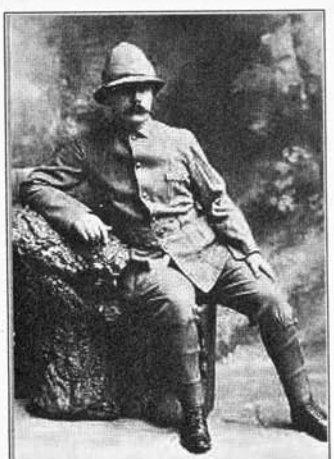
وفي غمرة إحساسه باليأس فكّر في أساليب الدكتور بل في التشخيص وقرر أن يستخدمها في قصة يكون بطلها واحداً من رجال التحري؛ وهكذا وُلد شيرلوك هولمز في رواية «دراسة قرمزية» التي نشرها دويل سنة ١٨٨٧.

لقد ابتكر دويل شخصية تفيض بالحياة، حتى إن الجماهير رفضت أن تصدق أنها شخصية خيالية! وكان المؤلف يتلقى بانتظام خطابات موجَّهة إلى هولمز تطلب مساعدته في حل قضايا حقيقية، وبعض هذه القضايا أدى إلى كشف قدرة دويل نفسه.

كانت إحدى هذه الحوادث تتعلق برجل سحب كل أمواله من البنك وحجز غرفة في أحد فنادق لندن، ثم حضر حفلاً عاد بعده إلى فندقه حيث أبدل ملابسه ثم اختفى. وعجز رجال الشرطة عن اكتشاف مكانه، وخشيت أسرته أن يكون قد أصيب بسوء، لكن دويل حلّ المشكلة سريعاً إذ قال: "سوف تجدون رجلكم في

غلاسكو أو إدنبرة، وقد ذهب هناك بمحض إرادته. إن سحب كل أمواله من البنك يشير إلى الهروب المتعمَّد، والحفل الذي كان فيه ينتهي في الساعة الحادية عشرة، ولمّا كان قد أبدل ملابسه بعد عودته فلا بدّ أنه كان ينوي القيام برحلة، والقطارات السريعة المتجهة إلى إسكتلندا تغادر محطة كينغز كروس عند منتصف الليل". وقد عُثر على الرجل في إدنبرة فعلاً!

كان آرثر كونان دويل رياضياً متعدد المواهب، فقد مارس الملاكمة وكرة القدم والبولينغ والكريكت، وكان خطيباً مفوَّهاً ومحاضراً ناجحاً ومحاوراً بارعاً، وقد ذاعت آراؤه وأفكاره المتنوعة في الطب والعلم والأدب والسياسة والاجتماع.



وفي عام ١٩٠٠ تطوّع الدكتور دويل في حرب البُوير (في جنوب إفريقيا) وصار كبيراً للجرّاحين في واحد من المستشفيات الميدانية، وفي نهاية الحرب مُنح وسام الفروسية ولقب «سير» تقديراً لخدماته. وقد أصدر بعد عودته

إلى إنكلترا كتاباً مهماً عن هذه الحرب.

وتوفي السير آرثر كونان دويل في السابع من تموز (يوليو) عام ١٩٣٠ بعد أن بلغ الحادية والسبعين، بعد ثلاث سنوات من كتابة آخر قصصه عن شيرلوك هولمز وبعد مرور أكثر من أربعين عاماً على أول ظهور علني لهذه الشخصية الخارقة.

* * *



شيرلوك هولمز وعالَمه

ربما كان شيرلوك هولمز أشهرَ الشخصيات الخيالية في التاريخ، بل إنه يكاد يفوق في شهرته كثيراً من مشاهير العالم الحقيقيين. وقد بلغ من شهرة هذه الشخصية أنها فاقت شهرةَ مبتكرها، آرثر كونان دويل.

استوحى دويل شخصية هولمز وصفاته من الدكتور جوزيف بِلْ الذي درّسه في كلية الطب. كان الدكتور بِلْ يتمتع بموهبة عظيمة في الملاحظة وأسلوب التفكير المنطقي، وكان يثير اهتمام تلاميذه بقدراته الاستنتاجية الفذة، فهو لم يكن ماهراً فقط في التعرف على علل المرضى، بل وفي معرفة شخصياتهم ومِهَنهم وتفصيلات خفية عنهم أيضاً. كان يقول لأحد المرضى مثلاً: "أنت ضابط سُرِّح من الجيش حديثاً، وقد عدتَ لتوّك من بربادوس، وأنت تعاني من داء الفيل". وبعد أن تسيطر الدهشة على المريض والطلبة

على السواء يشرح الدكتور بل الأمر قائلاً إن الرجل يبدو جندياً من هيئته، وعدم خلع قبعته عند دخوله الغرفة يدل على أنه ترك الخدمة حديثاً، وهو يملك مظاهر السلطة كتلك التي توجد لدى الضباط، وتدل بشرته التي لوّحتها الشمس والمرض الذي يشكو منه على أنه جاء من منطقة استوائية، وقد جاء من بربادوس لأن هذا المرض بالذات منتشر هناك!

«وُلد» شيرلوك هولمز -في عالَمه الخيالي- سنة ١٨٥٤ وحصل على شهادة جامعية لم يحدّدها دويل، ثم احترف مهنة «محقق خاص» منذ نحو سنة ١٨٧٨،



وكان يقيم في شارع بيكر في العاصمة البريطانية لندن، ورقم البيت الذي يقيم فيه هو «٢٢١ب». وقد لا نبالغ إذا قلنا إن هذا العنوان (٢٢١ب شارع بيكر) هو أشهر عنوان في العصر الحديث! وقد برع هولمز في كشف الجرائم وحل الألغاز الغامضة بفضل دقة ملاحظته وقدرته العظيمة على الاستنتاج والتحليل المنطقي، بالإضافة إلى غزارة معلوماته واطّلاعه الواسع على العلوم المختلفة.

أما الدكتور واطسون، صديق هولمز ومساعده الذي يرافقه في قصصه كلها، فلا يكاد يقل شهرة عن هولمز نفسه، وهو رَاوِية القصص الذي يقصّها علينا (كما فعل بعد ذلك هيستنغز في كثير من مغامرات بوارو). وهو طبيب وُلد نحو سنة ١٨٥٢ وتخرج طبيباً سنة ١٨٧٨، ثم انضم إلى الجيش سنة ١٨٨٠ وأمضى مدة خدمته في أفغانستان مع الجيش البريطاني، ثم عاد إلى بلده وتقاعد من الجيش بعدما أصيب في إحدى المعارك، وعندها تعرف إلى شيرلوك هولمز في مختبر الكيمياء بمستشفى ستامفورد في أوائل سنة ١٨٨١، ولم يفترق الصديقان بعد ذلك قط. وقد تزوج الدكتور واطسون في أواخر سنة ١٨٨٦، لكن دويل لم يشأ أن يعرّفنا إلى زوجته ولم يذكر لنا اسمها.

في قصة «المشكلة الأخيرة» التي نُشرت في نهاية

عام ١٨٩٣ «قتل» دويل بطله شيرلوك هولمز، لكنه واجه احتجاجاً عارماً من جماهير القراء فقرر إعادة إحياء هذه الشخصية الخيالية من جديد، فعاد هولمز إلى الظهور مرة أخرى في أواخر عام ١٩٠٣ ليستأنف حل القضايا الغامضة.

* * *



قصص شيرلوك هولمز

أول قصة نشرها دويل كانت في عام ١٨٧٩، وهي قصة قصيرة عنوانها «إفادة السيد جِفْسون»، أما أول رواية نشرها من بطولة شيرلوك هولمز فكانت «دراسة قرمزية»، وقد صدرت في بريطانيا عام ١٨٨٧ فلم يَكَد يُحِسّ بها أحد، لكنها حققت نجاحاً معتدلاً في الولايات المتحدة. وبعدها نشر رواية طويلة ثانية من بطولة شيرلوك هولمز، وهي رواية «علامة الأربعة» التي نُشرت عام ١٨٩٠ فوطّدت شخصيةَ هولمز في بريطانيا وأمريكا على السواء.

وفي السنة التالية (١٨٩١) بدأ نشر مجموعة «مغامرات شيرلوك هولمز» في حلقات شهرية في مجلة «ستراند»، بدءاً بقصة «فضيحة في بوهيميا» التي ظهرت في عدد تموز (يوليو)، فقوبلت هذه القصص بنجاح كبير غير مسبوق في تاريخ الصحافة البريطانية، ودخلت هذه الشخصية الخيالية التاريخَ من بابه الواسع، حيث صارت حديثَ المجتمع وشغلَ الناس في أنحاء البلاد.

وقد بلغ عدد قصص هذه السلسلة اثنتَي عشرة نُشر آخرها في عدد حزيران (يونيو) من عام ١٨٩٢. ثم ظهرت سلسلة «ذكريات شيرلوك هولمز» التي نُشرت في اثنتَي عشرة حلقة أيضاً صدر أولها في كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٢، ويبدو أن دويل بدأ يملّ عندئذ من كتابة قصص شيرلوك هولمز، ولذلك «قتله» في آخر قصة من هذه المجموعة في معركة مع البروفسور موريارتي الشرّير عند شلالات رايشِنْباخ في سويسرا! وقد نُشرت هذه القصة (وعنوانها «المشكلة الأخيرة») في كانون الأول (ديسمبر) عام ١٨٩٣.

وثار جمهور دويل غضباً وانهالت عليه ألوف الخطابات تستنكر عمله وخسرت المجلة عشرين ألف اشتراك، ولكن دويل تمسّك بموقفه، فقد شعر بأن شيرلوك هولمز يحول بينه وبين أعمال أكثر أهمية. ثم وافق أخيراً بسبب الإلحاح الذي لم ينقطع على «بعث» شيرلوك هولمز، فأعاده إلى العمل في قصة «مغامرة المنزل الخالي» التي نُشرت في مجلة «ستراند» في تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٠٣.

وعاد شيرلوك هولمز إلى الأضواء من جديد؛ فقد تبيّن أنه لم يُقتَل على الإطلاق، وفي تلك القصة (المنزل الخالي) شرح دويل كيف نجا هولمز من الموت بأعجوبة، ثم شقّ طريقه بعد ذلك إلى بلاد

التبّت لمساعدة اللاما الكبير، ثم عاد إلى لندن ليحقق في وفاة ابن أحد اللوردات بطريقة غامضة. وقد أثارت عودة شيرلوك هولمز في مجلة «ستراند» في بريطانيا ومجلة «كوليِرْز» في أمريكا حماسة بالغة في نفوس عشّاقه المخلصين وحققت للمجلتين مبيعات غير مسبوقة. واستمر نشر سلسلة «عودة شيرلوك هولمز» (التي بلغ عدد حلقاتها ثلاث عشرة حلقة) حتى كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٤.

وكان دويل قد نشر قبل هذه السلسلة روايةَ شيرلوك هولمز الطويلة الثالثة «كلب عائلة باسكرفيل»، وقد استمر نشر حلقاتها من آب (أغسطس) ١٩٠١ إلى نيسان (أبريل) ١٩٠٢، وهي أشهر روايات شيرلوك هولمز على الإطلاق.

وبعدها صدرت سلسلة «الظهور الأخير» التي تضم سبع قصص نُشرت على حلقات متباعدة بين أيلول (سبتمبر) ١٩٠٨ وكانون الأول (ديسمبر) ١٩١٣، ثم الرواية الطويلة الرابعة «وادي الرعب» (١٩١٤/٩-١٩١٥/٥)، وهي أعظم روايات شيرلوك هولمز كما يقول النقّاد. وأخيراً سلسلة «قضايا شيرلوك هولمز» (١٩٢١/١٠-١٩٢٧/٤) التي نُشرت آخر حلقاتها بعد أربعين سنة تماماً من صدور أولى روايات شيرلوك هولمز.

ولم تقتصر مؤلفات آرثر كونان دويل على قصص وروايات شيرلوك هولمز، فقد ألّف كتباً كثيرة غيرها، منها روايات تاريخية ورومنسية ومسرحيات، بالإضافة إلى عدد كبير من الكتب والدراسات الغير الروائية.

والحقيقة أنه كان كاتباً غزير الإنتاج، فقد بلغ ما تركه من المؤلفات نحو مئة وستين، منها ستّون من قصص وروايات شيرلوك هولمز، وخمس روايات من بطولة شخصية خيالية أخرى ابتكرها هي شخصية عالِم اسمه البروفيسور تشالنجر، وأشهر هذه الروايات هي «العالَم المفقود»، ونحو أربعين رواية من الروايات المتنوعة، بالإضافة إلى عشر مسرحيات، وأربعة دواوين شعرية، وأكثر من خمسين كتاباً وكتيّباً في الشؤون الاجتماعية والسياسية والعسكرية، وكتاب ذكرياته الجميل الذي سمّاه «ذكريات ومغامرات».

* * *



رسّام شيرلوك هولمز الأشهر

تعاقب على رسم شخصية شيرلوك هولمز عددٌ من الرسّامين، لكن أشهرهم وأعظمهم -بلا خلاف- كان الرسام الإنكليزي سدني باجيت الذي صاحَبَ روايات هولمز وقصصَه منذ ولادتها المبكرة، وهو الذي بَلْوَر صورة شيرلوك هولمز وطبَعَها في عيون القراء على مدار السنين.

والغريب أن المجلة لم تسعَ ابتداءً خلف سدني باجيت بل خلف أخيه الأكبر ولتر الذي كان قد نجح في رسم رسومات قصّتَي «جزيرة الكنز» و«روبنسون كروزو»، لكن خطأً في الاتصالات تسبب في دعوة سدني، الأخ الأصغر، لرسم صور القصص الستّ

الأولى التي نشرتها مجلة «ستراند» في النصف الثاني من عام ١٨٩١، وعلى إثر النجاح الهائل الذي لقيَته هذه القصص مع رسوماتها التصق سدني باجيت بآرثر كونان دويل لتصبح رسومات هذا بنفس أهمية كتابة ذاك في عالم شيرلوك هولمز. وقد استمر سدني باجيت برسم الصور لقصص وروايات شيرلوك هولمز حتى وفاته عام ١٩٠٨، وبلغ عدد ما رسمه خلال هذه السنوات ٣٥٧ رسماً زيّنت ٣٨ قصة.

وحين توفي سدني استعانت مجلة «ستراند» برسّامين آخرين، فشارك في رسم السلسة الجديدة «الظهور الأخير» كل من ولتر باجيت، الأخ الأكبر لسدني، وآرثر تويدل وجلبرت هاليدي وأليك بول وجوزف سمبسون. أما السلسلة الأخيرة -وهي «قضايا شيرلوك هولمز»- فقد رسمها ثلاثة من الرسامين هم أ. جلبرت وهاوارد إلكوك وفرانك وايلز.

هذا في نسخة هولمز البريطانية التي نشرتها مجلة «ستراند»، أما في أمريكا فقد استعانت مجلة «كولِيرْز» بعدد من الرسامين أشهرهم فردريك دورْ ستيل، ومنهم و هـ هايد وجوزف فريدرتش ورتشارد غوتشمت.

* * *

مغامرة الرجل الأحدب

في إحدى ليالي الصيف بعد زواجي بأشهر قليلة كنت جالساً بجوار المدفأة أقرأ إحدى الروايات ورأسي ينحني من النعاس بعد يوم عمل شاق، وكانت زوجتي قد صعدت بالفعل إلى الدور العلوي، وعرفتُ من صوت إغلاق الباب في البهو أن الخدم أيضاً قد غادروا منذ بعض الوقت.

قمت عن مقعدي وقد عزمت على الذهاب إلى النوم، وعندها سمعت دقّ الجرس! نظرت إلى الساعة فكانت الثانية عشرة إلاّ ربعاً؛ لا يمكن أن يكون القادم زائراً في هذا الوقت المتأخر؛ إنه مريض على ما يبدو، ومن الممكن أن يستغرق فحص مثل هذا المريض الليل كله. ذهبت إلى البهو وفتحت الباب وأنا متجهم الوجه، ولدهشتي كان شيرلوك هولمز هو من يقف على عتبة بابي!

قال: صديقي واطسون، لقد تمنّيت أن لا أكون متأخراً حتى أدركك قبل أن تنام.

- يا صديقي العزيز، ادخل من فضلك.

- تبدو عليك الدهشة، ولا عجب في ذلك، والارتياح أيضاً على ما أظن. حسناً، هل ستتحملني الليلة؟

- بكل سرور.

- لقد أخبرتَني بوجود غرفة إضافية لفرد واحد، وأرى أنه لا يوجَد في بيتك زوّار من الرجال هذه الليلة كما يظهر من علاّقة القبعات.

- سأكون مسروراً إذا بقيت.

- شكراً لك، سأملأ المشجب الفارغ إذن. يؤسفني أن أرى أن عاملاً كان عندك اليوم في المنزل؛ إنه علامة على وقوع مشكلة. آمل أن المشكلة لم تكن في أنابيب الصرف.

- بل في الغاز.

- لقد ترك علامتين لمسامير من صندوقه على مشمَّع الأرضيات عندك في نفس المكان الذي ينعكس عليه الضوء بالضبط.

سألته إن كان يرغب في تناول العشاء فقال: لا، شكراً لك، لقد تناولت عشائي في محطة

واترلو، ولكنني سأشرب معك الشاي بكل سرور.

جلست وجلس على المقعد المقابل صامتاً لبعض الوقت، وكنت مدركاً تمام الإدراك أنه ما



رسم سدني باجيت ١٨٩٣ Sydney Paget 1893

كان ليحضر لزيارتي في مثل هذا الوقت إلا لأمر في غاية الأهمية، فانتظرت صابراً حتى يخبرني بنفسه.

قال وهو ينظر إليّ باهتمام: أرى أنك مشغول بعملك هذه الأيام؟

أجبته قائلاً: أجل، لقد كان يومي مزدحماً.

ثم أضفت: قد يبدو الأمر سخيفاً من وجهة نظرك، ولكنني لا أعرف حقاً كيف استنتجت ذلك!

ابتسم هولمز وقال: أنا أعرف عاداتك يا عزيزي واطسون، فعندما تكون في جولة قصيرة فأنت تفضّل المشي، ولكنك تستخدم العربة ذات العجلتين في الجولات الطويلة، وقد لاحظت أن حذاءك ليس متّسخاً بأي حال بالرغم من أنه قد استُخدم، وهكذا فلم أشكّ في أنك مشغول بما فيه الكفاية هذه الأيام لتستخدم العربة.

صحت قائلاً: ممتاز!

قال: أمر بسيط؛ إنها إحدى الحالات التي يقوم فيها المحلّل المنطقي بإحداث انطباع شديد في

نفس صاحبه، ولكن هذا يحدث فقط لأن صاحبه قد أغفل نقطة صغيرة واحدة تكون هي أساس الاستنتاج. ويمكن أن نصف بشكل مشابه التأثيرَ الذي تُحدِثه قصصك الصغيرة يا صديقي العزيز، والذي هو تأثير خادع تماماً ويعتمد على احتفاظك ببعض حقائق المشكلة بحيث لا تكشفها للقارئ أبداً.

ثم مال إلى الأمام وقال: وأنا في مثل موقف هؤلاء القرّاء في الوقت الحاضر؛ فأنا أحمل في يدي العديد من الخيوط لواحدة من أغرب القضايا المحيّرة، وبالرغم من ذلك ينقصني دليل أو اثنان أراهما ضروريّين لإكمال نظريتي، ولا بدّ أن أحصل عليهما يا واطسون... سأحصل عليهما بكل تأكيد.

توهّجت عيناه وتدفّقت حمرة خفيفة إلى وجنتيه النحيلتين للحظة فقط، فحين نظرت إلى وجهه ثانية وجدت أنه قد استعاد رباطة جأشه المعهودة ليبدو بارداً كالهنود الحمر. وهذه الصفة فيه هي ما يجعل الكثيرين ينظرون إليه على أنه آلة.

قال: المشكلة تقدّم عناصر مثيرة للاهتمام،

بل يمكنني القول إنها عناصر استثنائية، وقد بحثت الأمر بالفعل وتوصلت إلى أطراف الحلّ كما أظن، فلو استطعتَ مرافقتي في هذه الخطوة الأخيرة فستكون قد أدّيت لي خدمة كبيرة.

- سيكون هذا من دواعي سروري.

- هل يمكنك الذهاب إلى ألْدَرْشوت غداً؟

- نعم، وسوف يتولى جاكسون أمر عيادتي.

- ممتاز؛ أودّ أن ننطلق في الساعة الحادية عشرة والربع من محطة واترلو.

- هذا سوف يمنحني بعض الوقت.

- حسناً إذن، وإذا لم تكن راغباً في النوم الفوري فسأقوم بإعطائك وصفاً لما حدث وما تبقّى لكي نقوم به.

- لقد كنت أغالب النعاس قبل قدومك، أما الآن فأنا متيقّظ تماماً.

- سألخص القضية قدر الإمكان دون حذف أي حقيقة حيوية، ومن الممكن أيضاً أن تكون قد قرأت بعض التقارير عن هذا الموضوع. إنني أحقق

في جريمة القتل المزعومة للكولونيل باركلي (من كتائب المونستر الملكية) في ألدرشوت.

- لم أسمع عنها أي شيء.

قال هولمز: إنها لم تُثِر حتى الآن اهتماماً كبيراً إلا على المستوى المحلِّي، فالحقائق عُرفت منذ يومين فقط، وها هي باختصار:

إن كتائب المونستر الملكية -كما تعرف- هي من أشهر الكتائب الأيرلندية في الجيش البريطاني، وقد برز دورها في حرب القرم أولاً ثم في مكافحة التمرد الكبير في الهند، ومنذ ذلك الوقت تميّزت في كل حملة خاضتها. وكان قائدها حتى يوم الإثنين الماضي هو الكولونيل جيمس باركلي، وهو محارب شجاع بدأ جندياً ثم تمّت ترقيته إلى رتبة ملازم ثانٍ لشجاعته خلال التمرد، ثم صار قائداً للكتيبة التي بدأ خدمته العسكرية فيها.

تزوّج الكولونيل باركلي في الوقت الذي صار فيه رقيباً، وكانت زوجته (التي كان اسمها قبل الزواج الآنسة نانسي ديفوي) ابنة رقيب الشرف في الفيلق نفسه. ولا بد أن بعض الصعوبات

الاجتماعية قد نشأت -كما يمكن أن تتصور- عندما وجد الزوجان الشابان نفسيهما في بيئتهما الجديدة، لكنهما سرعان ما تكيّفا مع الوضع، وكما فهمت فقد حظيَت السيدة باركلي دائماً بشعبية بين سيدات الكتيبة، كما حظيَ زوجها بشعبية مماثلة بين زملائه الضباط. ويمكنني أن أضيف أنها كانت سيدة على درجة كبيرة من الجمال، بل إنها ما زالت تتمتع بجمال وجاذبية حتى اليوم بعد ثلاثين عاماً من الزواج.

بدت الحياة العائلية للكولونيل باركلي سعيدة، وقد أكّد لي الميجور مورفي (الذي زوّدني بمعظم الحقائق عن هذه القضية) أنه لم يسمع قط عن سوء تفاهم بين الزوجين. وبوجه عام فهو يعتقد أن تعلق باركلي بزوجته كان أعظم من تعلقها به، فقد كان الاضطراب يبدو عليه جليّاً إذا ما تغيّب عنها ولو ليوم واحد، أما هي فقد كانت أقل إظهاراً لعواطفها بالرغم من إخلاصها وتفانيها. وعلى أية حال فقد نظر إليهما كلُّ من في الكتيبة على أنهما نموذج مثالي لزوجين سعيدين، ولم تَبدُ في العلاقة بينهما أي إشارة تُعِدّ الناسَ للمأساة التي حدثت بعد ذلك.

ويبدو أن الكولونيل باركلي نفسه كان يتميز بصفات طيبة، فقد كان جذّاباً بَشوشاً عندما يكون في مزاجه المعتاد، وإن كان قد أظهر -في بعض المناسبات- أنه قادر على الحقد والتصرف بعنف شديد، ولكنه لم يُظهِر هذا الجانب من شخصيته قط ناحية زوجته على أية حال.

والحقيقة الأخرى التي أذهلت الميجور مورفي وثلاثة آخرين من الضبّاط الخمسة الذين تحدثت معهم هي الاكتئاب الشديد الذي كان يصيب الكولونيل باركلي في بعض الأحيان، وقد عبّر مورفي عن ذلك فقال إن الابتسامة في مثل تلك الأوقات كانت غالباً ما تغيب عن وجهه كما لو أن يداً خفيّة قد انتزعتها، لدرجة أنه كان يغرق في حالة من الاكتئاب العميق لأيام طويلة متصلة عندما يكون في تلك الحالة المزاجية!

كانت هذه الصفة ومعها مسحة من الاعتقاد بالخرافات هما الصفتان الغريبتان في شخصية باركلي اللتين لاحظهما زملاؤه الضبّاط، وكانت الصفة الأخيرة -على وجه الخصوص- قد ظهرت على شكل كراهيته لأن يُترك وحيداً، ولا سيما

في الظلام. وقد تسببت هذه الصفة الطفولية -نظراً إلى طبيعته الخشنة بشكل ملحوظ- في كثير من التعليقات والتخمينات في أغلب الأحيان.

تمركزت الكتيبة الأولى من كتائب المونستر الملكية (وهي الكتيبة القديمة رقم ١١٧) في ألدرشوت لبضع سنوات، حيث عاش الضباط المتزوجون في ثكنات، أما الكولونيل فقد شغل طوال تلك المدة دارَة (فيلاّ) اسمها «لاشين»، وهي تبعد نحو نصف ميل عن المعكسر الشمالي، والبيت مقام على حدائق خاصة ويبعد عن الطريق نحو ثلاثين متراً من الناحية الغربية للمنزل، وقد سكن الدارة -إضافة إلى السيد والسيدة باركلي- سائق عربة وخادمتان فقط. ولم يكن عند عائلة باركلي أطفال، كما لم يكونا معتادَين على وجود زائرين مقيمين.

ننتقل الآن إلى الأحداث التي حدثت في «لاشين» مساء يوم الإثنين الماضي بين التاسعة والعاشرة. يبدو أن السيدة باركلي كانتْ تشغل نفسها كثيراً مع مؤسّسة جمعية القديس جورج (ومقرّها في شارع وات)، وهي مؤسسة خيرية

تُعنى بتزويد الفقراء بالملابس المستعمَلة. وفي ذلك المساء عقدت الجمعية اجتماعاً في الساعة الثامنة، فعجّلت السيدة باركلي عشاءها حتى تحضر الاجتماع، ولدى مغادرتها المنزل سمعها السائق تبدي بعض الملاحظات العاديّة لزوجها وتؤكد له أنها لن تتأخر. ثم مرّت بالآنسة موريسون (وهي شابة تعيش في الدّارَة المجاورة) واتجهت الاثنتان إلى اجتماعهما معاً. استمرّ الاجتماع لمدة أربعين دقيقة، وفي الساعة التاسعة والربع عادت السيدة باركلي إلى المنزل بعد أن أوصلت الآنسة موريسون إلى بيتها في الطريق.

في «لاشين» غرفة تُستخدم كغرفة استقبال، وهي تواجه الطريق وفيها باب زجاجيّ واسع يؤدّي إلى المرج العشبي الذي يبلغ عرضه ثلاثين متراً ويفصله عن الطريق سورٌ منخفض. وقد دخلت السيدة باركلي هذه الغرفة عند عودتها، حيث كانت الستائر مغلَقة لأن الغرفة نادراً ما تُستخدم في المساء. قامت السيدة باركلي بنفسها بإشعال المصباح، ثم دقّت الجرس وطلبت من الخادمة جين ستيوارت أن تُحضِر لها -على غير عادتها- كوباً من الشاي. كان الكولونيل يجلس في غرفة

الطعام، ولكنه حين سمع أن زوجته عادت انضمّ إليها في غرفة الاستقبال، وقد رآه السائق يعبر البهو ثم يدخل إلى هناك، وبعدها لم يرَه أحد على قيد الحياة!

أحضرت الخادمة الشاي المطلوب بعد عشر دقائق، ولكنها فوجئت بسماع صوتَي سيدها وسيدتها في مشاجرة غاضبة، فدقّت على الباب، ولمّا لم تتلقَّ أي إجابة حاولت فتح الباب فاكتشفت أنه مغلَق من الداخل. وبطبيعة الحال جرَت إلى الدور السفلي لتخبر الطبّاخة، فصعدت المرأتان ومعهما السائق إلى البهو ليستمعوا إلى الخلاف الذي كان لا يزال محتدماً. وقد اتفقوا جميعاً على أنهم لم يسمعوا إلا صوتين فقط: صوت باركلي وصوت زوجته، وقد كانت تعليقات باركلي خافتة متقطعة بحيث لم يستطع أحدٌ من الخدم سماعها، أما ملاحظات السيدة فكانت مليئة بالمرارة، وحين رفعت صوتها استطاعوا سماعها بوضوح وهي تكرّر المرة تلو الأخرى قائلة: أيها الجبان... ما الذي يمكن فعله الآن؟... أعِد لي حياتي... لن أتحمّل العيش معك بعد اليوم أيها الجبان، أيها الجبان!

هذه نبذة من محادثتهما التي انتهت بصرخة مفاجئة فظيعة أطلقها الرجل مصحوبة بصوت ارتطام وصرخة حادّة من السيدة؛ فاقتنع السائق بأن مأساة قد وقعت، فأسرع إلى الباب وجاهد كي



رسم سدني باجيت ١٨٩٣ Sydney Paget 1893

يخلعه والصرخات تتوالى من داخل الغرفة، ولكنه لم يتمكن من اقتحام الباب على أية حال، وشلّ الخوفُ تفكيرَ الخادمتين فلم تستطيعا مساعدته. ثم خطرت له فكرة مفاجئة، فجرى عبر باب البهو والتفّ حتى وصل إلى المرج العشبي الذي تُفتح عليه النوافذ الزجاجية الطويلة. وكان أحد جوانب النافذة مفتوحاً، وهو الأمر الذي كان -حسبما فهمت- معتاداً في الصيف، فدخل إلى الغرفة بلا صعوبة.

كانت سيدته قد توقفت عن الصراخ عندئذ وارتمت فاقدة الوعي على الأريكة، فيما رقد الكولونيل ميتاً وقد تدفق الدم من جرح في رأسه، وكانت ساقاه مائلتين على جانب أحد المقاعد ذات الذراعين ورأسه في الأرض قرب زاوية إطار المدفأة.

كانت الفكرة الأولى التي خطرت على بال السائق بطبيعة الحال هي أن يفتح الباب، وذلك بعد أن وجد أنه لن يستطيع مساعدة سيده بشيء. وهنا واجهته صعوبة غريبة وغير متوقَّعة، فلم يكن المفتاح في الجانب الداخلي من الباب ولم يستطع

العثور عليه في أي مكان في الغرفة، فخرج ثانية عبر النافذة. ثم عاد بعد أن حصل على مساعدة شرطيّ وطبيب، فقاموا جميعاً بنقل السيدة (التي تحوم حولها أقوى الشكوك) إلى غرفتها وهي ما تزال في غيبوبة، ثم وضعوا جثمان الكولونيل على الأريكة، وبعد ذلك قاموا بفحص موقع المأساة بكل عناية.

عانى المحارب القديم من جرح قطعيّ في الجزء الخلفي من رأسه طوله بوصتان، وكان سببه -على ما يبدو- ضربة عنيفة بسلاح غير حادّ، ولم يكن من الصعب معرفة طبيعة السلاح المستخدَم، فبالقرب من الجثة على الأرض وجدوا هراوة من الخشب المنحوت ذات مقبض عظمي. وبما أن الكولونيل يمتلك مجموعة مختلفة من الأسلحة التي أحضرها من مختلف البلدان التي حارب فيها فالشرطة يعتقدون أن هذه الهراوة هي واحدة من مجموعة تذكاراته، بالرغم من إنكار الخدم رؤيتهم لها من قبل، ولكن هذا الإنكار غير مهم لأن المنزل حافل بالعديد من التحف، فمن الممكن أن يكونوا قد سهوا عن هذه القطعة بالذات. أما عن مفتاح الغرفة فلم يعثروا عليه، لا مع السيدة باركلي ولا

مع القتيل ولا حتى في أي مكان آخر من الغرفة، وهو أمر غير قابل للتفسير. ولم يكتشف الشرطة شيئاً آخر ذا أهمية في الغرفة، وقد فُتح الباب في النهاية بواسطة صانع أقفال.

كانت تلك هي الأحوال يا واطسون عندما ذهبت إلى ألدرشوت صباح الثلاثاء بناء على طلب الميجور ميرفي دعماً لجهود الشرطة. وأحسب أنك ستُقرّ بأن المشكلة مثيرة للاهتمام بالفعل، فقد بيّنَت لي ملاحظاتي كم هي قضية غير عادية في الحقيقة، بل هي أكثر غرابة وصعوبة مما تبدو للوهلة الأولى.

قبل فحص الغرفة استجوبت الخدم، ولكني لم أتمكّن من انتزاع حقائق غير تلك التي سبق وذكرتها لك، وإن كانت الخادمة جين ستيوارت قد تذكّرت أمراً آخر مهماً؛ فهي تتذكر أنها ذهبت حين سمعت أصوات النزاع ثم رجعت ومعها باقي الخدم، إلا أنها عادت وذكرت أنها حين كانت وحدها كان صوتا سيدها وسيدتها منخفضَين جداً بحيث لم تتمكن من سماع أي كلمات محْددة، وأنها استنتجت أنهما كانا يتشاجران اعتماداً على نبرتهما وليس بسبب كلماتهما.

أمر واحد في القضية ترك أعمق الأثر في نفوس الخدم والشرطة، وهو مقدار الألم المرتسم على وجه الكولونيل، فقد انطبع على وجهه -طبقاً لرواياتهم- أقصى ما يمكن للملامح البشرية أن تحمله من تعابير الخوف والرعب، وكان تأثير ذلك رهيباً حتى إن بعض الخادمات قد فقدنَ الوعي لمجرّد رؤيته! فلعله قد اطّلع على قدَره فسبّب له ذلك أقصى درجات الرعب، وقد كان هذا الافتراض ملائماً لنظرية الشرطة التي تقول إن الكولونيل قد رأى زوجته وهي تهجم عليه هجوماً مميتاً. حتى الجرح الظاهر في مؤخّرة رأسه لا يمثل اعتراضاً قوياً على نظرية الشرطة هذه، فربما كان القتيل قد استدار ليتفادى ضربة وُجِّهت إليه. أما السيدة نفسها فلم يمكن الحصول على أية معلومات منها لأنها فقدت رشدها مؤقّتاً بتأثير نوبة شديدة من حمّى الدماغ.

وقد عرفتُ من الشرطة أن الآنسة موريسون (التي خرجت مع السيدة باركلي في ذلك المساء) قد أنكرت معرفتها بالسبب الذي ربما أدّى إلى الحالة المزاجية السيئة التي عادت بها مرافقتها.

جلست أدخّن غليوني وأفكر في كل هذه

الحقائق التي جمعتها محاولاً فصل الحقائق الحاسمة عن تلك التي وقعت بالمصادفة، ولم يكن لديّ شك في أن اختفاء مفتاح الباب هو من أكثر حقائق القضية تميّزاً وإيحاء، فلا بد أن شخصاً ما قد أخذه، ولم يكن الكولونيل ولا زوجته قادرَين على ذلك، هذا واضح بما فيه الكفاية، ولذا فلا بدّ أن شخصاً ثالثاً قد دخل الغرفة، وهذا الشخص الثالث لم يكن قادراً على الدخول إلا من خلال النافذة، ولذلك فقد تصورت أن فحصاً دقيقاً للغرفة وللمرج العشبي قد يكشف بعض آثار هذا الشخص الغامض.

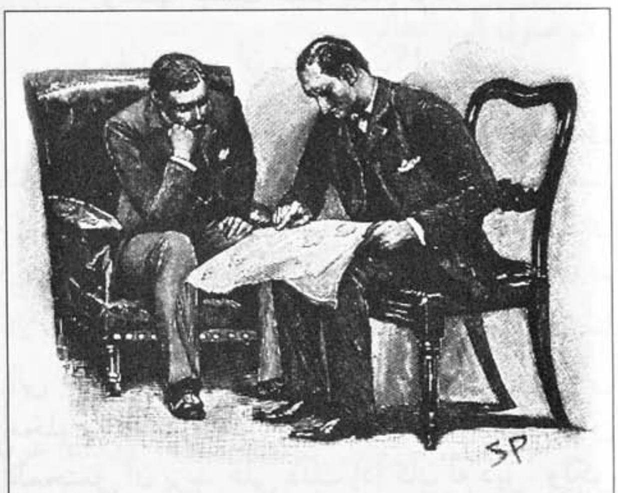
لم أترك أياً من أساليبي التي تعرفها -يا واطسون- إلا وطبّقته على هذا التحقيق، حتى تمكنت من الحصول على ما توقعته؛ فقد كان في الغرفة رجل جاء من الطريق وعبر المرج العشبي إلى الغرفة! كما حصلت على خمس علامات واضحة جداً؛ كانت واحدة منها على الطريق الرئيسي نفسه في المكان الذي تسلّق فيه ذلك الشخص السورَ المنخفض، واثنتان على المرج العشبي، واثنتان باهتتان جداً على اللوح الملطّخ قرب النافذة حيث دخل، ويبدو أنه أسرع الخطى

عبر العشب حيث كانت علامات أصابع قدميه أعمقَ كثيراً من علامات كعبيه. ولكن لم يكن الرجل هو من أثار دهشتي، بل مُرافِقه.

قلت بدهشة: مُرافقه؟!

سحب هولمز قطعة من الورق العريض من جيبه ثم بسطها بعناية على ركبتيه وسألني قائلاً: ما الذي تستنتجه من هذا؟

كانت الورقة ممتلئة برسومات لآثار أقدام



رسم سدني باجيت ١٨٩٣ Sydney Paget 1893

أحد الحيوانات الصغيرة، فقد كانت فيها خمس علامات واضحة لباطن قدم الحيوان ودليل على وجود مخالب، والأثر كله يكاد يكون في حجم ملعقة الحلوى!

قلت: إنه كلب.

- هل سمعت يوماً عن كلب يجري على الستائر؟

- قرد إذن؟

- ولكنها ليست طبعة لقدم قرد.

- ماذا يمكن أن يكون إذن؟!

- ليست لكلب ولا لقط أو قرد وليست لأي حيوان نعرفه، وقد حاولت إعادة تشكيله مستعيناً بالمقاييس، فهنا أربع طبعات حين كان الحيوان واقفاً بغير حراك، وأنت ترى أن بين الأقدام الأمامية والخلفية نحو أربعين سنتمتراً، فإذا أضفنا إلى ذلك طول العنق والرأس فسوف نحصل على مخلوق لا يقلّ طوله عن ستين سنتمتراً، ومن المحتمَل أن يزيد على ذلك إذا كان له ذيل. ولكن لاحظ معي الآن هذه المقاييس الأخرى، فعندما

كان الحيوان يتحرك حصلنا على طول خطواته التي لا تكاد تتجاوز الواحدةُ منها طولَ الإصبع، وهذا يعطيك دلالة على أنه حيوان ذو جسم طويل وسيقان قصيرة جداً، ولم يكن من اللطف بحيث يترك خلفه أياً من شعره، ولكن شكله العام لا بدّ أن يكون مثلما أشرت، كما يمكنه السير على الستارة، وهو من الحيوانات اللاحمة.

- كيف استطعت استنتاج ذلك؟

- لأنه جرى أعلى الستارة، ففي النافذة قفص معلَّق لعصفور كناري، ويبدو أن هدفه كان الوصول إلى الطائر.

- فماذا كان هذا الوحش إذن؟

- آه لو استطعت معرفته! فربما ساعدني ذلك على حل القضية. على العموم من المحتمَل أن يكون حيواناً من فصيلة ابن عرس، بالرغم من أنه أضخم من أيّ واحد رأيته منها.

- ولكن ما علاقته بالجريمة؟

- هذا ما يزال غامضاً أيضاً. ولكننا عرفنا الكثير كما تلاحظ، فقد عرفنا أن رجلاً ما وقف

ليراقب الشجار بين الزوجين لأن الستائر كانت مرفوعة ونور الغرفة مضاء، كما نعرف أيضاً أنه قد جرى عبر المرج العشبي ثم دخل إلى الغرفة مصطحباً معه حيواناً غريباً. ولعل هذا الرجل الغريب ضرب الكولونيل، ومن الممكن أيضاً أن يكون الكولونيل قد ارتعب بسبب رؤيته فسقط فجُرح رأسه على زاوية إطار المدفأة. وأخيراً لدينا حقيقة محيّرة، هي أن الدخيل قد أخذ المفتاح معه عندما غادر المكان!

قلت: لقد زادت اكتشافاتُك الأمرَ غرابة أكثر من ذي قبل!

- تماماً؛ لقد أظهرَت أن في الأمر شيئاً أعمق ممّا استنتجناه في البداية. وقد فكرت مليّاً فوصلت إلى قرار بأنني يجب أن أتعامل مع القضية من زاوية أخرى.

ثم نظر إليّ بشفقة وقال: ولكن يبدو -يا واطسون- أنني أبقيك مستيقظاً بغير داعٍ في حين أنني أستطيع إخبارك بكل هذا ونحن في طريقنا إلى ألدرشوت غداً.

- شكراً لك، لقد أخبرتني الكثير بالفعل ولا

يمكنك التوقف الآن.

قال هولمز: من المؤكّد أن السيدة باركلي كانت على علاقة حسنة بزوجها حين غادرت المنزل في الساعة السابعة والنصف، وهي لم تكن ممّن يُظهرون عواطفهم كما أخبرتك، ولكن السائق سمعها وهي تثرثر مع الكولونيل بطريقة ودّية. ومن المؤكد أيضاً أنها ذهبت بعد عودتها مباشرة إلى تلك الغرفة لكي تتجنب مقابلة زوجها، ولجأت إلى الشاي كما قد تفعل أي امرأة ثائرة. وأخيراً حين جاء هو إليها انفجرت وهي تكيل له اتهامات عنيفة؛ ولذلك فلا بدّ أن شيئاً ما قد حدث بين الساعة السابعة والنصف والساعة التاسعة ليغيّر شعورها نحوه، وبما أن الآنسة موريسون كانت معها طوال تلك المدة فهي تعرف شيئاً عن الأمر بالتأكيد، بالرغم من إنكارها.

كان حدسي الأول هو أن بين هذه السيدة الشابة والكولونيل علاقة عاطفية، وأنها ربما اعترفت لزوجته بهذه العلاقة حين تصاحبا في ذلك المساء، وهذا من شأنه أن يبرّر عودتها غاضبة، وهو يبرّر أيضاً إنكارَ الفتاة حدوث أي شيء، وهو

افتراض لن يتعارض مع معظم الكلمات التي سمعها الخدم. ولكن -في المقابل- فإن من المعروف عن الكولونيل أنه يحب زوجته، بالإضافة إلى ضرورة أن نأخذ في الاعتبار الاقتحام المأساوي للرجل الآخر، وربما لم يكن لهذا الاقتحام أي علاقة بما حدث قبل ذلك.

ليس من السهل دائماً تتبّع خطوات شخص ما، ولكنني إجمالاً كنت أميل إلى طرد فكرة أن بين الكولونيل والآنسة موريسون علاقة ما، وفي الوقت نفسه كنت قد اقتنعت أكثر من أي وقت مضى بأن هذه السيدة الصغيرة تحمل مفتاح حل اللغز في تحوُّل شعور السيدة باركلي إلى كراهية زوجها، ولذلك اتبعت المسار الواضح وقمت بزيارة الآنسة موريسون وشرحت لها أنها تملك الحقائق بين يديها، وأكّدت لها أن صديقتها السيدة باركلي قد تجد نفسها في السجن متّهَمة بجريمة كبرى ما لم تتضح هذه الأمور.

الآنسة موريسون فتاة نحيلة صغيرة بالغة الرقّة لها عينان خجولتان وشعر أشقر، ولكنني وجدتها لا تفتقر إلى الذكاء والتفكير السليم، فقد

جلسَت تفكر لبعض الوقت في الكلام الذي قلته، ثم التفتت نحوي بعزم وقالت كلاماً طيباً سألخّصه لك؛ قالت: لقد وعدت صديقتي أنني لن أقول شيئاً عن هذا الأمر، والوعد هو الوعد، لكنني أجد من واجبي مساعدتها إذ قد وُجِّهت إليها مثل هذه التهمة الخطيرة، لا سيما وأن عزيزتي المسكينة لا تستطيع الدفاع عن نفسها الآن بسبب المرض. أحسب إذن أنني في حِلّ من وعدي، وسأخبرك بما حدث مساء يوم الإثنين بالتفصيل.

حدث ذلك حين كنا في طريق العودة من اجتماع الجمعية في نحو الساعة التاسعة إلا الربع، وكان لا بد لنا من أن نمرّ في طريقنا بشارع هدسون، حيث كانت حركة المرور هادئة جداً وليس ثمّة إلاّ مصباح واحد في الناحية اليسرى، وعندما اقتربنا من المصباح رأيت رجلاً يمشي باتجاهنا وظهره محني جداً، وكان يعلّق على أحد كتفيه شيئاً يشبه الصندوق، وبدا عليه أنه مشوَّه إذ كان يمشي ورأسه محني وركبتاه مقوَّستان. وقد كدنا نتجاوزه حين رفع وجهه لينظر إلينا في دائرة ضوء المصباح، وحين فعل ذلك توقف وصرخ بصوت رهيب قائلاً: يا إلهي، إنها نانسي!

فشحب وجه السيدة باركلي شحوب الموتى وكادت تسقط، لولا أن الرجل ذا الشكل المفزع سارع إلى الإمساك بها، وكنت أنا على وشك أن أطلب الشرطة، إلا أنها فاجأتني وتكلمت مع الرجل بطريقة مهذّبة! قالت له بصوت مرتعش: لقد اعتقدت أنك ميت طوال ثلاثين عاماً يا هنري.



رسم سدني باجيت ١٨٩٣ Sydney Paget 1893

قال: وهكذا كنت.

كان الاستماع إلى نبرات صوت الرجل وهو يردّد هذا الكلام مريعاً، وكان وجهه مخيفاً شديد الاسمرار وفي عينيه لمعة غريبة لا تزال تطاردني في أحلامي حتى الآن، وقد غزا الشيبُ شعره وشاربَيه، وبدا وجهه مجعَّداً متغضناً كالتفاحة الذابلة!

قالت السيدة باركلي: امشي مسافة قصيرة يا عزيزتي، فأنا أرغب في محادثة هذا الرجل على انفراد، ولا تخافي من شيء.

كانت تحاول قدر جهدها أن تتحدث بوضوح، ولكنها كانت ما تزال شاحبة جداً وتُخرِج الكلمات بصعوبة من شفتيها المرتعشتين.

فعلتُ ما طلبَته مني، وتحدّثا معاً لبعض الوقت، ثم جاءت إلى آخر الشارع وعيناها تبرقان، ورأيت الرجل العاجز البائس يقف بجوار عمود المصباح ويهزّ قبضتيه في الهواء وقد تمكّن منه الغضب، ولم تنطق هي بكلمة حتى وصلنا إلى الباب، وعندها أمسكَت بيدي وتوسلَت إليّ أن لا أخبر أي شخص بما حدث. قالت: إنه أحد

أصدقائي القدامى، ولكن أحواله تدهورت.

وعندما وعدتها بأنني لن أقول شيئاً قبّلتني، ولم أرَها منذ ذلك الوقت. لقد أخبرتُك الآن -يا سيد هولمز- كل الحقيقة التي كتمتها عن الشرطة لأنني لم أدرك وقتها مدى الخطر الذي يتربص بصديقتي، وأنا الآن أدرك أن من مصلحتها أن تُعرَف الحقيقة.

كانت تلك هي تصريحاتها يا واطسون، وكانت بالنسبة إليّ -كما ترى- مثل النور في ليلة مظلمة، فكل ما كان غيرَ مترابط من قبل بدأ يتخذ مكانه الحقيقي في الحال، وتكوّن عندي إحساس داخليّ مبهَم بتتابع الأحداث، وكان من الواضح أن خطوتي التالية هي العثور على الرجل الذي ترك هذا التأثير الهائل في السيدة باركلي. لو أنه كان ما يزال في ألدرشوت فلن يكون العثور عليه بالغ الصعوبة، إذ لا يوجَد في المنطقة عدد كبير من المدنيين، ولا بدّ لرجل مشوّه مثله أن يلفت الانتباه.

أمضيت يوماً في البحث، وبحلول المساء، هذا المساء بالذات يا واطسون، استطعت أن أتتبع

أثره. اسم الرجل هو هنري وود، وهو يسكن في إحدى الغرف في نفس الشارع الذي قابل فيه السيدتين، وقد جاء إلى المنطقة منذ خمسة أيام فقط.

فقمت بانتحال شخصية وكيل تسجيلات وحظيت بمحادثة من أكثر المحادثات تشويقاً مع مالكة المنزل، ومنها عرفت أن الرجل يعمل ساحراً وممثّلاً يدور على الملاهي المخصَّصة للجنود بعد حلول الظلام ليؤدّي فيها فقرات ترفيهية، وهو يحمل معه في ذلك الصندوق حيواناً يبدو أنه يسبّب الذعر الشديد لمالكة المنزل لأنها لم ترَ مثله من قبل، ويستخدمه الرجل في القيام ببعض الحِيَل كما تقول. وقد أخبرتني صاحبة المنزل بالكثير عن حياة هذا الرجل، كما قالت أيضاً أنه من العجيب أن يعيش مثل ذلك المخلوق نظراً إلى التشوّه الشديد الذي يعاني منه، وأنه يتكلم لغة غريبة في بعض الأحيان، كما أنها سمعته يتأوه وينوح في غرفته طوال الليلتين السابقتين. وبالرغم من أنه مستقيم في تعاملاته المادّية إلا أنه حين دفع مقدَّم أجر إقامته أعطاها ما بدا لها وكأنه جنيه مزيَّف، وقد عرضَته عليّ يا واطسون فوجدتُه روبية هندية!

وهكذا -يا صديقي العزيز- أصبحتَ تعرف ما هو الموقف ولماذا أريدك معي، فمن الواضح تماماً أن الرجل قد تبع السيدتين بَعد ابتعادهما عنه، وأنه رأى الشجار بين الزوجين من خلال النافذة المفتوحة فاندفع إلى داخل الغرفة، وتحرّر المخلوق الذي يحمله معه في صندوقه فأحدث ما خبّرتك به من آثار. كل هذه الأمور حقائق مؤكّدة، ولكن هذا الرجل هو الشخص الوحيد الذي يستطيع إخبارنا بما حدث في تلك الغرفة بالضبط.

- وهل تنوى أن تسأله؟

- بكل تأكيد، ولكن بوجود شاهد.

- وهل أنا هذا الشاهد؟

- إذا تكرّمت، فإن أوضح لنا الأمر فهذا حسن، وإذا رفض فلن يكون أمامنا سوى إبلاغ الشرطة للقبض عليه.

- ولكن كيف تعرف أنه سيكون هناك عندما نعود؟

- يجب أن تتأكد من أنني قد اتخذت بعض الاحتياطات، فأحد فتياني يقف حارساً عليه،

وسوف يلازمه كظلّه ويذهب معه أينما ذهب. أنا متأكد أننا سنجده في شارع هدسون غداً يا واطسون، وحتى ذلك الوقت سأكون أنا المجرم إذا أبقيتك خارج فراشك أكثر من ذلك.

* * *

كنا في منتصف النهار حين وصلنا إلى مسرح المأساة في اليوم التالي، فاتجه رفيقي إلى شارع هدسون في الحال. وبالرغم من قدرة هولمز على إخفاء مشاعره إلا أنني لاحظت -بكل وضوح- حالة الانفعال المكبوت التي سيطرت عليه، في حين شعرت أنا بمتعة تدغدغ حواسّي كلها، وهي تنتابني دائماً عندما أشترك مع هولمز في مطارداته.

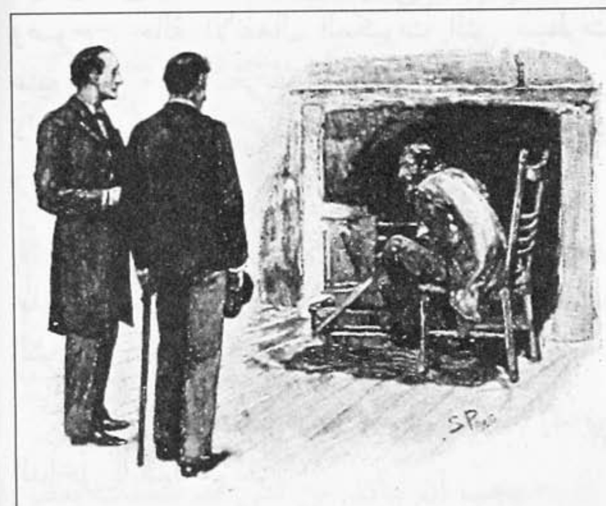
قال ونحن ننعطف لندخل في طريق قصير على جانبَيه منازل بسيطة ذات طابقَين: هذا هو الشارع، آه، وها هو سمبسون ليخبرنا بالتقرير.

صاح فتى صغير وهو يجري نحونا: إنه في الداخل يا سيد هولمز.

قال هولمز وهو يربّت على رأسه: أحسنت يا

سمبسون. هيا بنا يا واطسون، ها هو المنزل.

بعث هولمز ببطاقة تعريفه ومعها رسالة تقول إنه جاء في أمر مهم، وبعد دقيقة قابلنا الرجل الذي جئنا من أجله. وبالرغم من الطقس الدافئ كان الرجل ينحني على النار وكانت الغرفة الصغيرة حارّة كالفرن، وقد جلس محنيّاً متكوّماً في مقعده بطريقة تعطي انطباعاً بالتشوّه لا يمكن وصفه، أما وجهه الذي أداره ناحيتنا فقد بدا مرهَقاً متكدراً، ولكنه كان وجهاً ينطق بأنه كان متميّزاً بالوسامة في



رسم سدني باجيت ١٨٩٣ Sydney Paget 1893

يوم من الأيام.

نظر الرجل إلينا نظرة صفراء بعينين متشائمتين، ودون أن يقف أو يتكلم أشار إلى مقعدين.

قال هولمز بلطف: أنت السيد هنري وود، وقد جئتَ مؤخَّراً من الهند كما أعتقد. لقد جئتُ إليك بخصوص هذا الأمر البسيط المتعلق بمقتل الكولونيل باركلي.

- وما الذي يجب أن أعرفه عن هذا الأمر؟

- هذا ما أودّ التأكد منه، وأنت تعرف -على ما أظن- أن الاحتمال أكيد بأن تُحاكَم السيدة باركلي بتهمة القتل ما لم يتمّ توضيح الأمر، وهي صديقة قديمة لك.

انتفض الرجل بعنف وصاح قائلاً: أنا لا أعرف من أنت ولا أعرف كيف توصلت إلى ما تعرفه، ولكن هل تقسم على صدق ما تقوله؟

- بالطبع، إنهم ينتظرون فقط إلى أن يعود إليها رشدها ليقبضوا عليها.

- يا إلهي! هل أنت من الشرطة؟

- لا.

- ما علاقتك بالأمر إذن؟

- من واجب كل إنسان المساعدة في إقرار العدالة.

- أقسم لك إنها بريئة.

- هل أنت المذنب إذن؟

- لا، لست كذلك.

- من قتل الكولونيل جيمس باركلي إذن؟

- قتلَته المشيئة الإلهية العادلة. ولكن لتتذكر أنني لو ضربته على رأسه فقتلته (كما تمنّيت أن أفعل) لكان ذلك أقل ما يستحقّه مني، ولو لم يقتله إحساسه بالذنب لكنت على الأرجح قد قتلته بنفسي. هل تريدني أن أقصّ عليك الحكاية؟ حسناً، لا أدري لماذا لا أفعل ذلك، فليس لديّ ما أخجل منه.

ثم بدأ الرجل يقصّ قصّته فقال:

هذا هو الأمر يا سيدي، فإن كنت تراني الآن

وظهري يشبه ظهر الجمل وضلوعي كلها معْوَجّة فقد جاء وقت كان فيه العريف هنري وود من أوسم الرجال في السرية رقم ١١٧ مشاة، وكنا في معسكر في الهند في مكان سوف ندعوه بهورتي، وكان باركلي رقيباً في نفس سريّتي، أما جميلة الكتيبة... آه، بل وأرقّ فتاة على وجه الأرض، فقد كانت هي نانسي ديفوي ابنة رقيب الشرف. وقد أحبّها رجلان، وأحبّت هي أحدهما، ولسوف تعجب حين تنظر إلى هذا الشيء المسكين أمامك منحنياً فوق النار ثم تسمعني أخبرك أنها أحبّتني بسبب وسامتي!

حسناً، بالرغم من أنني كنت قد ملكت قلبها إلا أن والدها قرّر أن يزوجها بباركلي لأنني كنت شاباً متهوراً طائشاً، أما هو فكان متعلماً، وقد تَقلّد وسام الحرب بالفعل. ولكن الفتاة تمسّكت بي بإخلاص، وبدا وكأنني سأظفر بها عندما اندلع التمرد في أنحاء الهند كلها.

حوصرنا في بهورتي، وقد ضمّت كتيبتُنا نصفَ سَرِيّة مدفعية وسريّة من السيخ وعدداً كبيراً من المدنيين والنساء، ووقعنا جميعاً في الحصار

حيث كان عشرة آلاف متمرد يحيطون بنا وهم في غاية الحماسة كمجموعة من الكلاب تحيط بقفص فأر. نفد الماء منا في الأسبوع الثاني من الحصار تقريباً، وكانت فرصتنا الوحيدة هي الاتصال بجماعة الكولونيل نيل التي كانت تتجه إلى شمال البلاد، فلم يكن لنا أمل بالقتال وكسر الحصار ومعنا كل هؤلاء النساء والأطفال، ومن ثَمّ تطوعت للخروج وتنبيه الكولونيل نيل إلى الخطر الذي يحدق بنا.

وقد قُبل عرضي، وناقشت الأمر مع الرقيب باركلي الذي كان من المفترَض أنه يعرف الطريق أفضل من أي شخص آخر، فرسم لي المسار الذي قد يمكّنني من التسلل بين خطوط العدوّ الثائر. وفي الساعة العاشرة من نفس الليلة بدأت رحلتي. كان هناك ألف شخص لأنقذهم، ولكنني لم أفكر إلا في شخص واحد وأنا أتخطّى الحصار في تلك الليلة.

كان طريقي يسير أسفل مجرى ماء جافّ آملاً أن يحجبني عن حرّاس العدو، ولكن عندما زحفت حول زاويته اصطدمت بستة منهم كانوا

رابضين في الظلام بانتظاري! وفي لحظة تلقّيت ضربة أفقدتني الوعي، وقُيِّدت يداي وقدماي، ولكن الضربة الحقيقية كانت موجَّهة إلى قلبي لا إلى رأسي، فعندما أفقت وأنصتّ إلى ما يمكنني فهمه من كلامهم سمعت ما يكفي لأعرف أن زميلي (وهو نفس الشخص الذي خطّط لي الطريق الذي سأمشي فيه) قد خانني عن طريق خادم هندي لأسقط في أيدي العدو!



رسم سدني باجيت ١٨٩٣ Sydney Paget 1893

حسناً، ليست بي حاجة الآن لأتوقف عند هذا الجزء، فأنتم تعرفون ما الذي يقدر جيمس باركلي على فعله. لقد فُكّ الحصار عن بهورتي في اليوم التالي، ولكن المتمردين أخذوني معهم وهم يتراجعون. ومرّت سنوات طويلة قبل أن أرى وجهاً أبيض مرة أخرى، فقد عُذّبت وحاولت الهرب فأمسكوا بي وعذّبوني ثانية، وتستطيع أن ترى بنفسك الحالة التي أوصلني ذلك كله إليها.

بعد ذلك فرّ بعض المتمردين إلى نيبال وأخذوني معهم، وحين بلغنا دارجيلِنْغ قتل أهل التلال هناك المتمردين الذين كنت معهم واحتفظوا بي عبداً لهم، حتى هربت أخيراً. ولكني اضطُررت إلى الاتجاه إلى الشمال بدلاً من الجنوب، فمضيت حتى وجدت نفسي في أفغانستان، وهناك تجولت لسنوات عديدة، ثم عدت أخيراً إلى البنجاب حيث عشت أغلب الوقت بين المواطنين وكسبت معيشتي عن طريق ممارسة الألعاب السحرية التي تعلمتها.

لم يكن في عودتي إلى إنكلترا فائدة وأنا عاجز تعِس، ولا فائدة من إظهار نفسي لزملائي

القدامى هناك، حتى رغبتي في الانتقام لم تكن لتدفعني إلى ذلك، فقد فضّلت أن تعتقد نانسي ومعها أصدقائي القدامى أنني متّ وظهري مستقيم على أن يروني أعيش وأزحف وأنا ممسك بعصا مثل الشمبانزي. ولم يشكّ زملائي في موتي قط، وكنت قد سمعت أن باركلي تزوّج نانسي وأنه يرتقي في الكتيبة بسرعة، ولكن حتى ذلك لم يكن ليجعلني أتكلم.

لكن عندما يكبر المرء يزداد حنينه إلى وطنه، وقد مرّت عليّ أعوام طويلة وأنا أحلم بحقول إنكلترا الخضراء، فقرّرت أخيراً أن أراها قبل أن أموت. وهكذا وفّرت ما يكفي لنفقات سفري، ثم جئت إلى هنا حيث يوجَد الجنود لأنني أعرف طرقهم وأعرف كيف أسلّيهم، وبذلك أكسب عيشي.

قال شيرلوك هولمز: حكايتك مثيرة للاهتمام، وقد سمعت بالفعل عن مقابلتك مع السيدة باركلي وتعرّف كل منكما على الآخر، وعندها -كما فهمت- تبعتَها إلى المنزل ورأيت مشاجرة بينها وبين زوجها من النافذة، حيث لا شكّ في أنها

واجهته بما فعله معك، فغلبتك مشاعرك وجريت عبر المرج العشبي واقتحمت عليهما الغرفة.

- لقد فعلت يا سيدي، وما إن رآني حتى بدا شكله كما لم أرَ رجلاً من قبل، ثم سقط ورأسه باتجاه إطار المدفأة. ولكنه مات قبل أن يسقط؛ لقد رأيت الموت مرتسماً على وجهه بكل وضوح، كانت مجرّد رؤيتي كرصاصة اخترقت قلبه المذنب.

- وبعد ذلك؟

- حينذاك فقدَت نانسي وعيها، فالتقطت من يدها مفتاح الباب وأنا أنوي فتحه وطلب المساعدة، ولكن حين هممت بذلك فكّرت أن من الأفضل أن أترك الأمر وأهرب لأن موقفي قد يبدو سيّئاً، وفي كل الأحوال سوف يُكتشَف سرّي إذا ما قُبض عليّ. ولأنني كنت مسرعاً فقد سهوت ووضعت المفتاح في جيبي، ثم التقطت عصاي وأنا أطارد تيدي الذي كان قد تعلق بالستارة، وحينها أدخلته إلى الصندوق الذي خرج منه وأسرعت هارباً.

سأله هولمز: مَن تيدي؟

انحنى الرجل فوق قفص كان في ركن الغرفة وفتح بابه، فخرج حيوان جميل لونه بنّي ضارب إلى الحمرة، وكان نحيفاً رشيقاً وله سيقان كسيقان ابن عرس وأنف طويل نحيل وعينان حمراوان من أرقّ الأعين التي رأيتها في رأس حيوان من قبل. صحت: إنه نمس!

قال الرجل: حسناً، البعض يطلقون عليه هذا الاسم، أما أنا فأدعوه صيّاد الثعابين، فتيدي هذا سريع جداً مع الكوبرا، وعندي هنا واحدة منها منزوعة الأنياب، وتيدي يمسك بها كل ليلة ليسلّي الناس في العروض التي أقدّمها.

ثم التفت إلى هولمز وقال: هل من شيء آخر يا سيدي؟

- حسناً، يمكن أن نطلبك ثانية إذا ثبت أن السيدة باركلي في مشكلة حقيقية.

- في تلك الحالة سأتقدم بالطبع.

- ولكن إن لم يحصل هذا فلا فائدة من إحياء هذه الفضيحة ضدّ رجل ميت. وبالرغم من تصرّفه المَقيت فمن المريح لك -على الأقل- أن تعرف

أن ضميره قد ظل يؤنّبه بمرارة طَوال ثلاثين عاماً بسبب فَعْلته الشريرة.

ثم نظر هولمز إلى الناحية الأخرى من الشارع وقال: ها هو الميجور مورفي. إلى اللقاء يا سيد



رسم سدني باجيت ١٨٩٣ Sydney Paget 1893

وود، فأنا أريد معرفة ما إذا كان قد جدّ أي جديد منذ الأمس.

وصلنا في الوقت المناسب لنسبق الميجور مورفي قبل وصوله إلى الزاوية، وحين التقى بنا قال: هولمز، لعلك سمعت أن كل هذه الضجة قد انتهت إلى لا شيء؟

- ماذا حدث؟

- لقد انتهى التحقيق الآن؛ وقد أثبت الفحص الطبي أن الموت كان نتيجة سكتة دماغية. لقد كانت قضية بسيطة بالرغم من كل شيء.

قال هولمز وهو يبتسم: أجل، لقد كانت سطحية جداً. هيا يا واطسون؛ لا أظنّ أن لوجودنا في ألدرشوت ضرورة بعد الآن.

❊ ❊ ❊

-تمت-

20



مغامرات

شيرلوك هولمز

تأليف: آرثر كونان دويل

The Adventures of Sherlock Holmes



The Adventure of the Crooked Man

ISBN 2-1957-3377-9
9782195733770

الأجيال
للترجمة والنشر
AJYAL Publishers



بسم الله الرحمن الرحيم



ذكريات

شيرلوك هولمز

(٨)

مغامرة الرجل الأحدب

نُشرت للمرة الأولى في صحيفة «ستراند» الشهرية
في عدد تموز (يوليو) ١٨٩٣

تأليف: آرثر كونان دويل
ترجمة: سالي أحمد حمدي
تحرير: رمزي رامز حسّون

الأجيال
للترجمة والنشر

الطبعة الأولى
٢٠٠٧

العنوان الإلكتروني للناشر
info@al-ajyal.com

موقعنا على الإنترنت
www.al-ajyal.com



آرثر كونان دويل

وُلد آرثر كونان دويل لأسرة متوسطة الحال في إدنبرة في إسكتلندا في الثاني والعشرين من أيار (مايو) عام ١٨٥٩، والتحق بكلية الطب فيها وعمره سبعة عشر عاماً. وكان من مدرّسيه في الكلية الجرّاحُ الشهير الدكتور جوزيف بِلْ، وهو الذي أوحى إليه بشخصية شيرلوك هولمز التي ابتكرها بعد ذلك.

في عام ١٨٨٢ حصل دويل على شهادة الطب من جامعة إدنبرة، وكان يحلم بأن يصبح جرّاحاً وخبيراً في التشخيص مثل الدكتور بل، ولكن قلة المال اضطرته إلى العمل طبيباً على سفينة لصيد الحيتان.

. بعد ذلك مارس مهنته في منزل صغير استأجره في بعض ضواحي بورتْسماوث، ولكن عدد المرضى كان قليلاً فاتجه إلى الكتابة أملاً في الحصول على بعض الدخل الإضافي. وقد كتب بعضاً من قصص المغامرات لمجلاّت الفتيان، ولكن أجره عنها كان ضئيلاً، وفشلت روايته الأولى في العثور على ناشر.

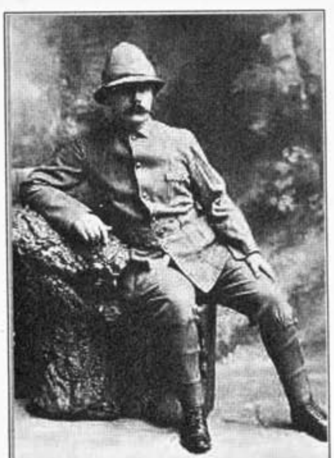
وفي غمرة إحساسه باليأس فكّر في أساليب الدكتور بل في التشخيص وقرر أن يستخدمها في قصة يكون بطلها واحداً من رجال التحري؛ وهكذا وُلد شيرلوك هولمز في رواية «دراسة قرمزية» التي نشرها دويل سنة ١٨٨٧.

لقد ابتكر دويل شخصية تفيض بالحياة، حتى إن الجماهير رفضت أن تصدق أنها شخصية خيالية! وكان المؤلف يتلقى بانتظام خطابات موجَّهة إلى هولمز تطلب مساعدته في حل قضايا حقيقية، وبعض هذه القضايا أدى إلى كشف قدرة دويل نفسه.

كانت إحدى هذه الحوادث تتعلق برجل سحب كل أمواله من البنك وحجز غرفة في أحد فنادق لندن، ثم حضر حفلاً عاد بعده إلى فندقه حيث أبدل ملابسه ثم اختفى. وعجز رجال الشرطة عن اكتشاف مكانه، وخشيت أسرته أن يكون قد أصيب بسوء، لكن دويل حلّ المشكلة سريعاً إذ قال: "سوف تجدون رجلكم في

غلاسكو أو إدنبرة، وقد ذهب هناك بمحض إرادته. إن سحب كل أمواله من البنك يشير إلى الهروب المتعمَّد، والحفل الذي كان فيه ينتهي في الساعة الحادية عشرة، ولمّا كان قد أبدل ملابسه بعد عودته فلا بدّ أنه كان ينوي القيام برحلة، والقطارات السريعة المتجهة إلى إسكتلندا تغادر محطة كينغز كروس عند منتصف الليل". وقد عُثر على الرجل في إدنبرة فعلاً!

كان آرثر كونان دويل رياضياً متعدد المواهب، فقد مارس الملاكمة وكرة القدم والبولينغ والكريكت، وكان خطيباً مفوَّهاً ومحاضراً ناجحاً ومحاوراً بارعاً، وقد ذاعت آراؤه وأفكاره المتنوعة في الطب والعلم والأدب والسياسة والاجتماع.



وفي عام ١٩٠٠ تطوّع الدكتور دويل في حرب البُوِير (في جنوب إفريقيا) وصار كبيراً للجرّاحين في واحد من المستشفيات الميدانية، وفي نهاية الحرب مُنح وسام الفروسية ولقب «سير» تقديراً لخدماته. وقد أصدر بعد عودته

إلى إنكلترا كتاباً مهماً عن هذه الحرب.

وتوفي السير آرثر كونان دويل في السابع من تموز (يوليو) عام ١٩٣٠ بعد أن بلغ الحادية والسبعين، بعد ثلاث سنوات من كتابة آخر قصصه عن شيرلوك هولمز وبعد مرور أكثر من أربعين عاماً على أول ظهور علني لهذه الشخصية الخارقة.

* * *



شيرلوك هولمز وعالَمه

ربما كان شيرلوك هولمز أشهرَ الشخصيات الخيالية في التاريخ، بل إنه يكاد يفوق في شهرته كثيراً من مشاهير العالم الحقيقيين. وقد بلغ من شهرة هذه الشخصية أنها فاقت شهرةَ مبتكرها، آرثر كونان دويل.

استوحى دويل شخصية هولمز وصفاته من الدكتور جوزيف بِلْ الذي درّسه في كلية الطب. كان الدكتور بِلْ يتمتع بموهبة عظيمة في الملاحظة وأسلوب التفكير المنطقي، وكان يثير اهتمام تلاميذه بقدراته الاستنتاجية الفذة، فهو لم يكن ماهراً فقط في التعرف على علل المرضى، بل وفي معرفة شخصياتهم ومِهَنهم وتفصيلات خفية عنهم أيضاً. كان يقول لأحد المرضى مثلاً: "أنت ضابط سُرِّح من الجيش حديثاً، وقد عدتَ لتوّك من بربادوس، وأنت تعاني من داء الفيل". وبعد أن تسيطر الدهشة على المريض والطلبة

على السواء يشرح الدكتور بل الأمر قائلاً إن الرجل يبدو جندياً من هيئته، وعدم خلع قبعته عند دخوله الغرفة يدل على أنه ترك الخدمة حديثاً، وهو يملك مظاهر السلطة كتلك التي توجد لدى الضباط، وتدل بشرته التي لوّحتها الشمس والمرض الذي يشكو منه على أنه جاء من منطقة استوائية، وقد جاء من بربادوس لأن هذا المرض بالذات منتشر هناك!

«وُلد» شيرلوك هولمز -في عالَمه الخيالي- سنة ١٨٥٤ وحصل على شهادة جامعية لم يحدّدها دويل، ثم احترف مهنة «محقق خاص» منذ نحو سنة ١٨٧٨،



وكان يقيم في شارع بيكر في العاصمة البريطانية لندن، ورقم البيت الذي يقيم فيه هو «٢٢١ب». وقد لا نبالغ إذا قلنا إن هذا العنوان (٢٢١ب شارع بيكر) هو أشهر عنوان في العصر الحديث! وقد برع هولمز في كشف الجرائم وحل الألغاز الغامضة بفضل دقة ملاحظته وقدرته العظيمة على الاستنتاج والتحليل المنطقي، بالإضافة إلى غزارة معلوماته واطّلاعه الواسع على العلوم المختلفة.

أما الدكتور واطسون، صديق هولمز ومساعده الذي يرافقه في قصصه كلها، فلا يكاد يقل شهرة عن هولمز نفسه، وهو رَاوِية القصص الذي يقصّها علينا (كما فعل بعد ذلك هيستنغز في كثير من مغامرات بوارو). وهو طبيب وُلد نحو سنة ١٨٥٢ وتخرج طبيباً سنة ١٨٧٨، ثم انضم إلى الجيش سنة ١٨٨٠ وأمضى مدة خدمته في أفغانستان مع الجيش البريطاني، ثم عاد إلى بلده وتقاعد من الجيش بعدما أصيب في إحدى المعارك، وعندها تعرف إلى شيرلوك هولمز في مختبر الكيمياء بمستشفى ستامفورد في أوائل سنة ١٨٨١، ولم يفترق الصديقان بعد ذلك قط. وقد تزوج الدكتور واطسون في أواخر سنة ١٨٨٦، لكن دويل لم يشأ أن يعرّفنا إلى زوجته ولم يذكر لنا اسمها.

في قصة «المشكلة الأخيرة» التي نُشرت في نهاية

عام ١٨٩٣ «قتل» دويل بطله شيرلوك هولمز، لكنه واجه احتجاجاً عارماً من جماهير القراء فقرر إعادة إحياء هذه الشخصية الخيالية من جديد، فعاد هولمز إلى الظهور مرة أخرى في أواخر عام ١٩٠٣ ليستأنف حل القضايا الغامضة.

* * *



قصص شيرلوك هولمز

أول قصة نشرها دويل كانت في عام ١٨٧٩، وهي قصة قصيرة عنوانها «إفادة السيد جِفْسون»، أما أول رواية نشرها من بطولة شيرلوك هولمز فكانت «دراسة قرمزية»، وقد صدرت في بريطانيا عام ١٨٨٧ فلم يَكَد يُحِسّ بها أحد، لكنها حققت نجاحاً معتدلاً في الولايات المتحدة. وبعدها نشر رواية طويلة ثانية من بطولة شيرلوك هولمز، وهي رواية «علامة الأربعة» التي نُشرت عام ١٨٩٠ فوطّدت شخصيةَ هولمز في بريطانيا وأمريكا على السواء.

وفي السنة التالية (١٨٩١) بدأ نشر مجموعة «مغامرات شيرلوك هولمز» في حلقات شهرية في مجلة «ستراند»، بدءاً بقصة «فضيحة في بوهيميا» التي ظهرت في عدد تموز (يوليو)، فقوبلت هذه القصص بنجاح كبير غير مسبوق في تاريخ الصحافة البريطانية، ودخلت هذه الشخصية الخيالية التاريخَ من بابه الواسع، حيث صارت حديثَ المجتمع وشغلَ الناس في أنحاء البلاد.

وقد بلغ عدد قصص هذه السلسلة اثنتَي عشرة نُشر آخرها في عدد حزيران (يونيو) من عام ١٨٩٢. ثم ظهرت سلسلة «ذكريات شيرلوك هولمز» التي نُشرت في اثنتَي عشرة حلقة أيضاً صدر أولها في كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٢، ويبدو أن دويل بدأ يملّ عندئذ من كتابة قصص شيرلوك هولمز، ولذلك «قتله» في آخر قصة من هذه المجموعة في معركة مع البروفسور موريارتي الشرّير عند شلالات رايشِنْباخ في سويسرا! وقد نُشرت هذه القصة (وعنوانها «المشكلة الأخيرة») في كانون الأول (ديسمبر) عام ١٨٩٣.

وثار جمهور دويل غضباً وانهالت عليه ألوف الخطابات تستنكر عمله وخسرت المجلة عشرين ألف اشتراك، ولكن دويل تمسّك بموقفه، فقد شعر بأن شيرلوك هولمز يحول بينه وبين أعمال أكثر أهمية. ثم وافق أخيراً بسبب الإلحاح الذي لم ينقطع على «بعث» شيرلوك هولمز، فأعاده إلى العمل في قصة «مغامرة المنزل الخالي» التي نُشرت في مجلة «ستراند» في تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٠٣.

وعاد شيرلوك هولمز إلى الأضواء من جديد؛ فقد تبيّن أنه لم يُقتَل على الإطلاق، وفي تلك القصة (المنزل الخالي) شرح دويل كيف نجا هولمز من الموت بأعجوبة، ثم شقّ طريقه بعد ذلك إلى بلاد

التبت لمساعدة اللاما الكبير، ثم عاد إلى لندن ليحقق في وفاة ابن أحد اللوردات بطريقة غامضة. وقد أثارت عودة شيرلوك هولمز في مجلة «ستراند» في بريطانيا ومجلة «كوليرْز» في أمريكا حماسة بالغة في نفوس عشّاقه المخلصين وحققت للمجلتين مبيعات غير مسبوقة. واستمر نشر سلسلة «عودة شيرلوك هولمز» (التي بلغ عدد حلقاتها ثلاث عشرة حلقة) حتى كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٤.

وكان دويل قد نشر قبل هذه السلسلة روايةَ شيرلوك هولمز الطويلة الثالثة «كلب عائلة باسكرفيل»، وقد استمر نشر حلقاتها من آب (أغسطس) ١٩٠١ إلى نيسان (أبريل) ١٩٠٢، وهي أشهر روايات شيرلوك هولمز على الإطلاق.

وبعدها صدرت سلسلة «الظهور الأخير» التي تضم سبع قصص نُشرت على حلقات متباعدة بين أيلول (سبتمبر) ١٩٠٨ وكانون الأول (ديسمبر) ١٩١٣، ثم الرواية الطويلة الرابعة «وادي الرعب» (١٩١٤/٩-١٩١٥/٥)، وهي أعظم روايات شيرلوك هولمز كما يقول النقّاد. وأخيراً سلسلة «قضايا شيرلوك هولمز» (١٩٢١/١٠-١٩٢٧/٤) التي نُشرت آخر حلقاتها بعد أربعين سنة تماماً من صدور أولى روايات شيرلوك هولمز.

ولم تقتصر مؤلفات آرثر كونان دويل على قصص وروايات شيرلوك هولمز، فقد ألّف كتباً كثيرة غيرها، منها روايات تاريخية ورومنسية ومسرحيات، بالإضافة إلى عدد كبير من الكتب والدراسات الغير الروائية.

والحقيقة أنه كان كاتباً غزير الإنتاج، فقد بلغ ما تركه من المؤلفات نحو مئة وستين، منها ستّون من قصص وروايات شيرلوك هولمز، وخمس روايات من بطولة شخصية خيالية أخرى ابتكرها هي شخصية عالِم اسمه البروفيسور تشالنجر، وأشهر هذه الروايات هي «العالَم المفقود»، ونحو أربعين رواية من الروايات المتنوعة، بالإضافة إلى عشر مسرحيات، وأربعة دواوين شعرية، وأكثر من خمسين كتاباً وكتيّباً في الشؤون الاجتماعية والسياسية والعسكرية، وكتاب ذكرياته الجميل الذي سمّاه «ذكريات ومغامرات».

* * *



رسّام شيرلوك هولمز الأشهر

تعاقب على رسم شخصية شيرلوك هولمز عددٌ من الرسّامين، لكن أشهرهم وأعظمهم -بلا خلاف- كان الرسام الإنكليزي سدني باجيت الذي صاحَبَ روايات هولمز وقصصَه منذ ولادتها المبكرة، وهو الذي بَلْوَر صورة شيرلوك هولمز وطبَعَها في عيون القراء على مدار السنين.

والغريب أن المجلة لم تسعَ ابتداءً خلف سدني باجيت بل خلف أخيه الأكبر ولتر الذي كان قد نجح في رسم رسومات قصّتَي «جزيرة الكنز» و«روبنسون كروزو»، لكن خطأً في الاتصالات تسبب في دعوة سدني، الأخ الأصغر، لرسم صور القصص الستّ

مغامرة الرجل الأحدب

الأولى التي نشرتها مجلة «ستراند» في النصف الثاني من عام ١٨٩١، وعلى إثر النجاح الهائل الذي لقيَته هذه القصص مع رسوماتها التصق سدني باجيت بآرثر كونان دويل لتصبح رسومات هذا بنفس أهمية كتابة ذاك في عالم شيرلوك هولمز. وقد استمر سدني باجيت برسم الصور لقصص وروايات شيرلوك هولمز حتى وفاته عام ١٩٠٨، وبلغ عدد ما رسمه خلال هذه السنوات ٣٥٧ رسماً زيّنت ٣٨ قصة.

وحين توفي سدني استعانت مجلة «ستراند» برسّامين آخرين، فشارك في رسم السلسلة الجديدة «الظهور الأخير» كل من ولتر باجيت، الأخ الأكبر لسدني، وآرثر تويدل وجلبرت هاليدي وأليك بول وجوزف سمبسون. أما السلسلة الأخيرة -وهي «قضايا شيرلوك هولمز»- فقد رسمها ثلاثة من الرسامين هم أ. جلبرت وهاوارد إلكوك وفرانك وايلز.

هذا في نسخة هولمز البريطانية التي نشرتها مجلة «ستراند»، أما في أمريكا فقد استعانت مجلة «كوليِرْز» بعدد من الرسامين أشهرهم فردريك دورْ ستيل، ومنهم و هـ هايد وجوزف فريدرتش ورتشارد غوتشمت.

* * *

في إحدى ليالي الصيف بعد زواجي بأشهر قليلة كنت جالساً بجوار المدفأة أقرأ إحدى الروايات ورأسي ينحني من النعاس بعد يوم عمل شاق، وكانت زوجتي قد صعدت بالفعل إلى الدور العلوي، وعرفتُ من صوت إغلاق الباب في البهو أن الخدم أيضاً قد غادروا منذ بعض الوقت.

قمت عن مقعدي وقد عزمت على الذهاب إلى النوم، وعندها سمعت دقّ الجرس! نظرت إلى الساعة فكانت الثانية عشرة إلاّ ربعاً؛ لا يمكن أن يكون القادم زائراً في هذا الوقت المتأخر؛ إنه مريض على ما يبدو، ومن الممكن أن يستغرق فحص مثل هذا المريض الليل كله. ذهبت إلى البهو وفتحت الباب وأنا متجهم الوجه، ولدهشتي كان شيرلوك هولمز هو من يقف على عتبة بابي!

قال: صديقي واطسون، لقد تمنّيت أن لا أكون متأخراً حتى أدركك قبل أن تنام.

- يا صديقي العزيز، ادخل من فضلك.

- تبدو عليك الدهشة، ولا عجب في ذلك، والارتياح أيضاً على ما أظن. حسناً، هل ستتحملني الليلة؟

- بكل سرور.

- لقد أخبرتَني بوجود غرفة إضافية لفرد واحد، وأرى أنه لا يوجَد في بيتك زوّار من الرجال هذه الليلة كما يظهر من علاّقة القبعات.

- سأكون مسروراً إذا بقيت.

- شكراً لك، سأملأ المشجب الفارغ إذن. يؤسفني أن أرى أن عاملاً كان عندك اليوم في المنزل؛ إنه علامة على وقوع مشكلة. آمل أن المشكلة لم تكن في أنابيب الصرف.

- بل في الغاز.

- لقد ترك علامتين لمسامير من صندوقه على مشمَّع الأرضيات عندك في نفس المكان الذي ينعكس عليه الضوء بالضبط.

سألته إن كان يرغب في تناول العشاء فقال: لا، شكراً لك، لقد تناولت عشائي في محطة

واترلو، ولكنني سأشرب معك الشاي بكل سرور.

جلست وجلس على المقعد المقابل صامتاً لبعض الوقت، وكنت مدركاً تمام الإدراك أنه ما



رسم سدني باجيت ١٨٩٣ Sydney Paget 1893

كان ليحضر لزيارتي في مثل هذا الوقت إلا لأمر في غاية الأهمية، فانتظرت صابراً حتى يخبرني بنفسه.

قال وهو ينظر إليّ باهتمام: أرى أنك مشغول بعملك هذه الأيام؟

أجبته قائلاً: أجل، لقد كان يومي مزدحماً.

ثم أضفت: قد يبدو الأمر سخيفاً من وجهة نظرك، ولكنني لا أعرف حقاً كيف استنتجت ذلك!

ابتسم هولمز وقال: أنا أعرف عاداتك يا عزيزي واطسون، فعندما تكون في جولة قصيرة فأنت تفضّل المشي، ولكنك تستخدم العربة ذات العجلتين في الجولات الطويلة، وقد لاحظت أن حذاءك ليس متّسخاً بأي حال بالرغم من أنه قد استُخدم، وهكذا فلم أشكّ في أنك مشغول بما فيه الكفاية هذه الأيام لتستخدم العربة.

صحت قائلاً: ممتاز!

قال: أمر بسيط؛ إنها إحدى الحالات التي يقوم فيها المحلّل المنطقي بإحداث انطباع شديد في

نفس صاحبه، ولكن هذا يحدث فقط لأن صاحبه قد أغفل نقطة صغيرة واحدة تكون هي أساس الاستنتاج. ويمكن أن نصف بشكل مشابه التأثيرَ الذي تُحدِثه قصصك الصغيرة يا صديقي العزيز، والذي هو تأثير خادع تماماً ويعتمد على احتفاظك ببعض حقائق المشكلة بحيث لا تكشفها للقارئ أبداً.

ثم مال إلى الأمام وقال: وأنا في مثل موقف هؤلاء القرّاء في الوقت الحاضر؛ فأنا أحمل في يدي العديد من الخيوط لواحدة من أغرب القضايا المحيّرة، وبالرغم من ذلك ينقصني دليل أو اثنان أراهما ضروريّين لإكمال نظريتي، ولا بدّ أن أحصل عليهما يا واطسون... سأحصل عليهما بكل تأكيد.

توهّجت عيناه وتدفّقت حمرة خفيفة إلى وجنتيه النحيلتين للحظة فقط، فحين نظرت إلى وجهه ثانية وجدت أنه قد استعاد رباطة جأشه المعهودة ليبدو بارداً كالهنود الحمر. وهذه الصفة فيه هي ما يجعل الكثيرين ينظرون إليه على أنه آلة.

قال: المشكلة تقدّم عناصر مثيرة للاهتمام،

بل يمكنني القول إنها عناصر استثنائية، وقد بحثت الأمر بالفعل وتوصلت إلى أطراف الحلّ كما أظن، فلو استطعتَ مرافقتي في هذه الخطوة الأخيرة فستكون قد أدّيت لي خدمة كبيرة.

- سيكون هذا من دواعي سروري.

- هل يمكنك الذهاب إلى ألْدَرْشوت غداً؟

- نعم، وسوف يتولى جاكسون أمر عيادتي.

- ممتاز؛ أودّ أن ننطلق في الساعة الحادية عشرة والربع من محطة واترلو.

- هذا سوف يمنحني بعض الوقت.

- حسناً إذن، وإذا لم تكن راغباً في النوم الفوري فسأقوم بإعطائك وصفاً لما حدث وما تبقّى لكي نقوم به.

- لقد كنت أغالب النعاس قبل قدومك، أما الآن فأنا متيقّظ تماماً.

- سألخص القضية قدر الإمكان دون حذف أي حقيقة حيوية، ومن الممكن أيضاً أن تكون قد قرأت بعض التقارير عن هذا الموضوع. إنني أحقق

في جريمة القتل المزعومة للكولونيل باركلي (من كتائب المونستر الملكية) في ألدرشوت.

- لم أسمع عنها أي شيء.

قال هولمز: إنها لم تُثِر حتى الآن اهتماماً كبيراً إلا على المستوى المحلّي، فالحقائق عُرفت منذ يومين فقط، وها هي باختصار:

إن كتائب المونستر الملكية -كما تعرف- هي من أشهر الكتائب الأيرلندية في الجيش البريطاني، وقد برز دورها في حرب القرم أولاً ثم في مكافحة التمرد الكبير في الهند، ومنذ ذلك الوقت تميّزت في كل حملة خاضتها. وكان قائدها حتى يوم الإثنين الماضي هو الكولونيل جيمس باركلي، وهو محارب شجاع بدأ جندياً ثم تمّت ترقيته إلى رتبة ملازم ثانٍ لشجاعته خلال التمرد، ثم صار قائداً للكتيبة التي بدأ خدمته العسكرية فيها.

تزوّج الكولونيل باركلي في الوقت الذي صار فيه رقيباً، وكانت زوجته (التي كان اسمها قبل الزواج الآنسة نانسي ديفوي) ابنة رقيب الشرف في الفيلق نفسه. ولا بد أن بعض الصعوبات

الاجتماعية قد نشأت -كما يمكن أن تتصور- عندما وجد الزوجان الشابان نفسيهما في بيئتهما الجديدة، لكنهما سرعان ما تكيّفا مع الوضع، وكما فهمت فقد حظيَت السيدة باركلي دائماً بشعبية بين سيدات الكتيبة، كما حظيَ زوجها بشعبية مماثلة بين زملائه الضباط. ويمكنني أن أضيف أنها كانت سيدة على درجة كبيرة من الجمال، بل إنها ما زالت تتمتع بجمال وجاذبية حتى اليوم بعد ثلاثين عاماً من الزواج.

بدت الحياة العائلية للكولونيل باركلي سعيدة، وقد أكّد لي الميجور مورفي (الذي زوّدني بمعظم الحقائق عن هذه القضية) أنه لم يسمع قط عن سوء تفاهم بين الزوجين. وبوجه عام فهو يعتقد أن تعلق باركلي بزوجته كان أعظم من تعلقها به، فقد كان الاضطراب يبدو عليه جليّاً إذا ما تغيّبت عنها ولو ليوم واحد، أما هي فقد كانت أقل إظهاراً لعواطفها بالرغم من إخلاصها وتفانيها. وعلى أية حال فقد نظر إليهما كلٌّ من في الكتيبة على أنهما نموذج مثالي لزوجين سعيدين، ولم تَبدُ في العلاقة بينهما أي إشارة تُعِدّ الناسَ للمأساة التي حدثت بعد ذلك.

ويبدو أن الكولونيل باركلي نفسه كان يتميز بصفات طيبة، فقد كان جذّاباً بَشوشاً عندما يكون في مزاجه المعتاد، وإن كان قد أظهر -في بعض المناسبات- أنه قادر على الحقد والتصرف بعنف شديد، ولكنه لم يُظهِر هذا الجانب من شخصيته قط ناحية زوجته على أية حال.

والحقيقة الأخرى التي أذهلت الميجور مورفي وثلاثة آخرين من الضبّاط الخمسة الذين تحدثت معهم هي الاكتئاب الشديد الذي كان يصيب الكولونيل باركلي في بعض الأحيان، وقد عبّر مورفي عن ذلك فقال إن الابتسامة في مثل تلك الأوقات كانت غالباً ما تغيب عن وجهه كما لو أن يداً خفيّة قد انتزعتها، لدرجة أنه كان يغرق في حالة من الاكتئاب العميق لأيام طويلة متصلة عندما يكون في تلك الحالة المزاجية!

كانت هذه الصفة ومعها مسحة من الاعتقاد بالخرافات هما الصفتان الغريبتان في شخصية باركلي اللتين لاحظهما زملاؤه الضبّاط، وكانت الصفة الأخيرة -على وجه الخصوص- قد ظهرت على شكل كراهيته لأن يُترك وحيداً، ولا سيما

في الظلام. وقد تسببت هذه الصفة الطفولية -نظراً إلى طبيعته الخشنة بشكل ملحوظ- في كثير من التعليقات والتخمينات في أغلب الأحيان.

تمركزت الكتيبة الأولى من كتائب المونستر الملكية (وهي الكتيبة القديمة رقم ١١٧) في ألدرشوت لبضع سنوات، حيث عاش الضباط المتزوجون في ثكنات، أما الكولونيل فقد شغل طوال تلك المدة دارَة (فيلاّ) اسمها «لاشين»، وهي تبعد نحو نصف ميل عن المعكسر الشمالي، والبيت مقام على حدائق خاصة ويبعد عن الطريق نحو ثلاثين متراً من الناحية الغربية للمنزل، وقد سكن الدارة -إضافة إلى السيد والسيدة باركلي- سائق عربة وخادمتان فقط. ولم يكن عند عائلة باركلي أطفال، كما لم يكونا معتادَين على وجود زائرين مقيمين.

ننتقل الآن إلى الأحداث التي حدثت في «لاشين» مساء يوم الإثنين الماضي بين التاسعة والعاشرة. يبدو أن السيدة باركلي كانتْ تشغل نفسها كثيراً مع مؤسّسة جمعية القديس جورج (ومقرّها في شارع وات)، وهي مؤسسة خيرية

تُعنى بتزويد الفقراء بالملابس المستعمَلة. وفي ذلك المساء عقدت الجمعية اجتماعاً في الساعة الثامنة، فعجّلت السيدة باركلي عشاءها حتى تحضر الاجتماع، ولدى مغادرتها المنزل سمعها السائق تبدي بعض الملاحظات العاديّة لزوجها وتؤكد له أنها لن تتأخر. ثم مرّت بالآنسة موريسون (وهي شابة تعيش في الدّارَة المجاورة) واتجهت الاثنتان إلى اجتماعهما معاً. استمرّ الاجتماع لمدة أربعين دقيقة، وفي الساعة التاسعة والربع عادت السيدة باركلي إلى المنزل بعد أن أوصلت الآنسة موريسون إلى بيتها في الطريق.

في «لاشين» غرفة تُستخدم كغرفة استقبال، وهي تواجه الطريق وفيها باب زجاجيّ واسع يؤدّي إلى المرج العشبي الذي يبلغ عرضه ثلاثين متراً ويفصله عن الطريق سورٌ منخفض. وقد دخلت السيدة باركلي هذه الغرفة عند عودتها، حيث كانت الستائر مغلَقة لأن الغرفة نادراً ما تُستخدم في المساء. قامت السيدة باركلي بنفسها بإشعال المصباح، ثم دقّت الجرس وطلبت من الخادمة جين ستيوارت أن تُحضِر لها -على غير عادتها- كوباً من الشاي. كان الكولونيل يجلس في غرفة

الطعام، ولكنه حين سمع أن زوجته عادت انضمّ إليها في غرفة الاستقبال، وقد رآه السائق يعبر البهو ثم يدخل إلى هناك، وبعدها لم يرَه أحد على قيد الحياة!

أحضرت الخادمة الشاي المطلوب بعد عشر دقائق، ولكنها فوجئت بسماع صوتَي سيدها وسيدتها في مشاجرة غاضبة، فدقّت على الباب، ولمّا لم تتلقَّ أي إجابة حاولت فتح الباب فاكتشفت أنه مغلَق من الداخل. وبطبيعة الحال جرَت إلى الدور السفلي لتخبر الطبّاخة، فصعدت المرأتان ومعهما السائق إلى البهو ليستمعوا إلى الخلاف الذي كان لا يزال محتدماً. وقد اتفقوا جميعاً على أنهم لم يسمعوا إلا صوتين فقط: صوت باركلي وصوت زوجته، وقد كانت تعليقات باركلي خافتة متقطعة بحيث لم يستطع أحدٌ من الخدم سماعها، أما ملاحظات السيدة فكانت مليئة بالمرارة، وحين رفعت صوتها استطاعوا سماعها بوضوح وهي تكرّر المرة تلو الأخرى قائلة: أيها الجبان... ما الذي يمكن فعله الآن؟... أعِد لي حياتي... لن أتحمّل العيش معك بعد اليوم أيها الجبان، أيها الجبان!

هذه نبذة من محادثتهما التي انتهت بصرخة مفاجئة فظيعة أطلقها الرجل مصحوبة بصوت ارتطام وصرخة حادّة من السيدة؛ فاقتنع السائق بأن مأساة قد وقعت، فأسرع إلى الباب وجاهد كي



رسم سدني باجيت ١٨٩٣ Sydney Paget 1893

يخلعه والصرخات تتوالى من داخل الغرفة، ولكنه لم يتمكن من اقتحام الباب على أية حال، وشلّ الخوفُ تفكيرَ الخادمتين فلم تستطيعا مساعدته. ثم خطرت له فكرة مفاجئة، فجرى عبر باب البهو والتفّ حتى وصل إلى المرج العشبي الذي تُفتح عليه النوافذ الزجاجية الطويلة. وكان أحد جوانب النافذة مفتوحاً، وهو الأمر الذي كان -حسبما فهمت- معتاداً في الصيف، فدخل إلى الغرفة بلا صعوبة.

كانت سيدته قد توقفت عن الصراخ عندئذ وارتمت فاقدة الوعي على الأريكة، فيما رقد الكولونيل ميتاً وقد تدفق الدم من جرح في رأسه، وكانت ساقاه مائلتين على جانب أحد المقاعد ذات الذراعين ورأسه في الأرض قرب زاوية إطار المدفأة.

كانت الفكرة الأولى التي خطرت على بال السائق بطبيعة الحال هي أن يفتح الباب، وذلك بعد أن وجد أنه لن يستطيع مساعدة سيده بشيء. وهنا واجهته صعوبة غريبة وغير متوقَّعة، فلم يكن المفتاح في الجانب الداخلي من الباب ولم يستطع

العثور عليه في أي مكان في الغرفة، فخرج ثانية عبر النافذة. ثم عاد بعد أن حصل على مساعدة شرطيّ وطبيب، فقاموا جميعاً بنقل السيدة (التي تحوم حولها أقوى الشكوك) إلى غرفتها وهي ما تزال في غيبوبة، ثم وضعوا جثمان الكولونيل على الأريكة، وبعد ذلك قاموا بفحص موقع المأساة بكل عناية.

عانى المحارب القديم من جرح قطعيّ في الجزء الخلفي من رأسه طوله بوصتان، وكان سببه -على ما يبدو- ضربة عنيفة بسلاح غير حادّ، ولم يكن من الصعب معرفة طبيعة السلاح المستخدَم، فبالقرب من الجثة على الأرض وجدوا هراوة من الخشب المنحوت ذات مقبض عظمي. وبما أن الكولونيل يمتلك مجموعة مختلفة من الأسلحة التي أحضرها من مختلف البلدان التي حارب فيها فالشرطة يعتقدون أن هذه الهراوة هي واحدة من مجموعة تذكاراته، بالرغم من إنكار الخدم رؤيتهم لها من قبل، ولكن هذا الإنكار غير مهم لأن المنزل حافل بالعديد من التحف، فمن الممكن أن يكونوا قد سهوا عن هذه القطعة بالذات. أما عن مفتاح الغرفة فلم يعثروا عليه، لا مع السيدة باركلي ولا

مع القتيل ولا حتى في أي مكان آخر من الغرفة، وهو أمر غير قابل للتفسير. ولم يكتشف الشرطة شيئاً آخر ذا أهمية في الغرفة، وقد فُتح الباب في النهاية بواسطة صانع أقفال.

كانت تلك هي الأحوال يا واطسون عندما ذهبت إلى ألدرشوت صباح الثلاثاء بناء على طلب الميجور ميرفي دعماً لجهود الشرطة. وأحسب أنك ستُقرّ بأن المشكلة مثيرة للاهتمام بالفعل، فقد بيّنَت لي ملاحظاتي كم هي قضية غير عادية في الحقيقة، بل هي أكثر غرابة وصعوبة مما تبدو للوهلة الأولى.

قبل فحص الغرفة استجوبت الخدم، ولكني لم أتمكّن من انتزاع حقائق غير تلك التي سبق وذكرتها لك، وإن كانت الخادمة جين ستيوارت قد تذكّرت أمراً آخر مهماً؛ فهي تتذكر أنها ذهبت حين سمعت أصوات النزاع ثم رجعت ومعها باقي الخدم، إلا أنها عادت وذكرت أنها حين كانت وحدها كان صوتا سيدها وسيدتها منخفضَين جداً بحيث لم تتمكن من سماع أي كلمات محدّدة، وأنها استنتجت أنهما كانا يتشاجران اعتماداً على نبرتهما وليس بسبب كلماتهما.

أمر واحد في القضية ترك أعمق الأثر في نفوس الخدم والشرطة، وهو مقدار الألم المرتسم على وجه الكولونيل، فقد انطبع على وجهه -طبقاً لروايتهم- أقصى ما يمكن للملامح البشرية أن تحمله من تعابير الخوف والرعب، وكان تأثير ذلك رهيباً حتى إن بعض الخادمات قد فقدنَ الوعي لمجرّد رؤيته! فلعله قد اطّلع على قدَره فسبّب له ذلك أقصى درجات الرعب، وقد كان هذا الافتراض ملائماً لنظرية الشرطة التي تقول إن الكولونيل قد رأى زوجته وهي تهجم عليه هجوماً مميتاً. حتى الجرح الظاهر في مؤخّرة رأسه لا يمثل اعتراضاً قوياً على نظرية الشرطة هذه، فربما كان القتيل قد استدار ليتفادى ضربة وُجِّهت إليه. أما السيدة نفسها فلم يمكن الحصول على أية معلومات منها لأنها فقدت رشدها مؤقّتاً بتأثير نوبة شديدة من حمّى الدماغ.

وقد عرفتُ من الشرطة أن الآنسة موريسون (التي خرجت مع السيدة باركلي في ذلك المساء) قد أنكرت معرفتها بالسبب الذي ربما أدّى إلى الحالة المزاجية السيئة التي عادت بها مرافقتها.

جلست أدخّن غليوني وأفكر في كل هذه

الحقائق التي جمعتها محاولاً فصل الحقائق الحاسمة عن تلك التي وقعت بالمصادفة، ولم يكن لديّ شك في أن اختفاء مفتاح الباب هو من أكثر حقائق القضية تميّزاً وإيحاء، فلا بد أن شخصاً ما قد أخذه، ولم يكن الكولونيل ولا زوجته قادرَين على ذلك، هذا واضح بما فيه الكفاية، ولذا فلا بدّ أن شخصاً ثالثاً قد دخل الغرفة، وهذا الشخص الثالث لم يكن قادراً على الدخول إلا من خلال النافذة، ولذلك فقد تصورت أن فحصاً دقيقاً للغرفة وللمرج العشبي قد يكشف بعض آثار هذا الشخص الغامض.

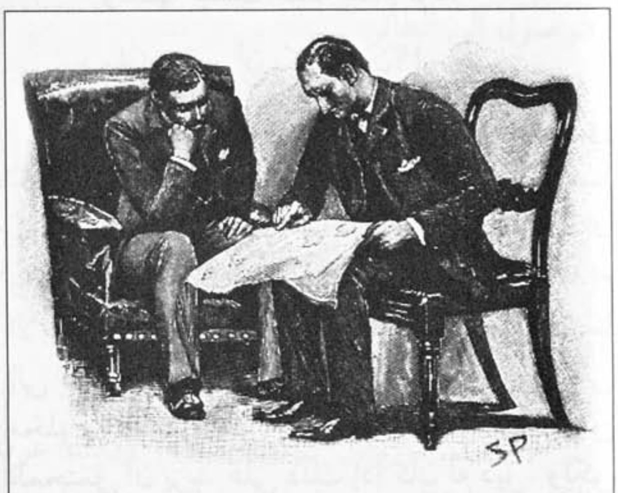
لم أترك أياً من أساليبي التي تعرفها -يا واطسون- إلا وطبّقته على هذا التحقيق، حتى تمكنت من الحصول على ما توقعته؛ فقد كان في الغرفة رجل جاء من الطريق وعبر المرج العشبي إلى الغرفة! كما حصلت على خمس علامات واضحة جداً؛ كانت واحدة منها على الطريق الرئيسي نفسه في المكان الذي تسلّق فيه ذلك الشخص السورَ المنخفض، واثنتان على المرج العشبي، واثنتان باهتتان جداً على اللوح الملطّخ قرب النافذة حيث دخل، ويبدو أنه أسرع الخطى

عبر العشب حيث كانت علامات أصابع قدميه أعمقَ كثيراً من علامات كعبيه. ولكن لم يكن الرجل هو من أثار دهشتي، بل مُرافِقه.

قلت بدهشة: مُرافقه؟!

سحب هولمز قطعة من الورق العريض من جيبه ثم بسطها بعناية على ركبتيه وسألني قائلاً: ما الذي تستنتجه من هذا؟

كانت الورقة ممتلئة برسومات لآثار أقدام



رسم سدني باجيت ١٨٩٣ Sydney Paget 1893

أحد الحيوانات الصغيرة، فقد كانت فيها خمس علامات واضحة لباطن قدم الحيوان ودليل على وجود مخالب، والأثر كله يكاد يكون في حجم ملعقة الحلوى!

قلت: إنه كلب.

- هل سمعت يوماً عن كلب يجري على الستائر؟

- قرد إذن؟

- ولكنها ليست طبعة لقدم قرد.

- ماذا يمكن أن يكون إذن؟!

- ليست لكلب ولا لقط أو قرد وليست لأي حيوان نعرفه، وقد حاولت إعادة تشكيله مستعيناً بالمقاييس، فهنا أربع طبعات حين كان الحيوان واقفاً بغير حراك، وأنت ترى أن بين الأقدام الأمامية والخلفية نحو أربعين سنتمتراً، فإذا أضفنا إلى ذلك طول العنق والرأس فسوف نحصل على مخلوق لا يقلّ طوله عن ستين سنتمتراً، ومن المحتمَل أن يزيد على ذلك إذا كان له ذيل. ولكن لاحظ معي الآن هذه المقاييس الأخرى، فعندما

كان الحيوان يتحرك حصلنا على طول خطواته التي لا تكاد تتجاوز الواحدةُ منها طولَ الإصبع، وهذا يعطيك دلالة على أنه حيوان ذو جسم طويل وسيقان قصيرة جداً، ولم يكن من اللطف بحيث يترك خلفه أياً من شعره، ولكن شكله العام لا بدّ أن يكون مثلما أشرت، كما يمكنه السير على الستارة، وهو من الحيوانات اللاحمة.

- كيف استطعت استنتاج ذلك؟

- لأنه جرى أعلى الستارة، ففي النافذة قفص معلَّق لعصفور كناري، ويبدو أن هدفه كان الوصول إلى الطائر.

- فماذا كان هذا الوحش إذن؟

- آه لو استطعت معرفته! فربما ساعدني ذلك على حل القضية. على العموم من المحتمَل أن يكون حيواناً من فصيلة ابن عرس، بالرغم من أنه أضخم من أيّ واحد رأيته منها.

- ولكن ما علاقته بالجريمة؟

- هذا ما يزال غامضاً أيضاً. ولكننا عرفنا الكثير كما تلاحظ، فقد عرفنا أن رجلاً ما وقف

ليراقب الشجار بين الزوجين لأن الستائر كانت مرفوعة ونور الغرفة مضاء، كما نعرف أيضاً أنه قد جرى عبر المرج العشبي ثم دخل إلى الغرفة مصطحباً معه حيواناً غريباً. ولعل هذا الرجل الغريب ضرب الكولونيل، ومن الممكن أيضاً أن يكون الكولونيل قد ارتعب بسبب رؤيته فسقط فجُرح رأسه على زاوية إطار المدفأة. وأخيراً لدينا حقيقة محيّرة، هي أن الدخيل قد أخذ المفتاح معه عندما غادر المكان!

قلت: لقد زادت اكتشافاتُك الأمرَ غرابة أكثر من ذي قبل!

- تماماً؛ لقد أظهرَت أن في الأمر شيئاً أعمق ممّا استنتجناه في البداية. وقد فكرت ملياً فوصلت إلى قرار بأنني يجب أن أتعامل مع القضية من زاوية أخرى.

ثم نظر إليّ بشفقة وقال: ولكن يبدو -يا واطسون- أنني أبقيك مستيقظاً بغير داع في حين أنني أستطيع إخبارك بكل هذا ونحن في طريقنا إلى ألدرشوت غداً.

- شكراً لك، لقد أخبرتني الكثير بالفعل ولا

يمكنك التوقف الآن.

قال هولمز: من المؤكّد أن السيدة باركلي كانت على علاقة حسنة بزوجها حين غادرت المنزل في الساعة السابعة والنصف، وهي لم تكن ممّن يُظهرون عواطفهم كما أخبرتك، ولكن السائق سمعها وهي تثرثر مع الكولونيل بطريقة ودّية. ومن المؤكد أيضاً أنها ذهبت بعد عودتها مباشرة إلى تلك الغرفة لكي تتجنب مقابلة زوجها، ولجأت إلى الشاي كما قد تفعل أي امرأة ثائرة. وأخيراً حين جاء هو إليها انفجرت وهي تكيل له اتهامات عنيفة؛ ولذلك فلا بدّ أن شيئاً ما قد حدث بين الساعة السابعة والنصف والساعة التاسعة ليغيّر شعورها نحوه، وبما أن الآنسة موريسون كانت معها طوال تلك المدة فهي تعرف شيئاً عن الأمر بالتأكيد، بالرغم من إنكارها.

كان حدسي الأول هو أن بين هذه السيدة الشابة والكولونيل علاقة عاطفية، وأنها ربما اعترفت لزوجته بهذه العلاقة حين تصاحبا في ذلك المساء، وهذا من شأنه أن يبرّر عودتها غاضبة، وهو يبرّر أيضاً إنكارَ الفتاة حدوث أي شيء، وهو

افتراض لن يتعارض مع معظم الكلمات التي سمعها الخدم. ولكن -في المقابل- فإن من المعروف عن الكولونيل أنه يحب زوجته، بالإضافة إلى ضرورة أن نأخذ في الاعتبار الاقتحام المأساوي للرجل الآخر، وربما لم يكن لهذا الاقتحام أي علاقة بما حدث قبل ذلك.

ليس من السهل دائماً تتبّع خطوات شخص ما، ولكنني إجمالاً كنت أميل إلى طرد فكرة أن بين الكولونيل والآنسة موريسون علاقة ما، وفي الوقت نفسه كنت قد اقتنعت أكثر من أي وقت مضى بأن هذه السيدة الصغيرة تحمل مفتاح حل اللغز في تحوُّل شعور السيدة باركلي إلى كراهية زوجها، ولذلك اتبعت المسار الواضح وقمت بزيارة الآنسة موريسون وشرحت لها أنها تملك الحقائق بين يديها، وأكّدت لها أن صديقتها السيدة باركلي قد تجد نفسها في السجن متّهَمة بجريمة كبرى ما لم تتضح هذه الأمور.

الآنسة موريسون فتاة نحيلة صغيرة بالغة الرقّة لها عينان خجولتان وشعر أشقر، ولكنني وجدتها لا تفتقر إلى الذكاء والتفكير السليم، فقد

جلسَت تفكر لبعض الوقت في الكلام الذي قلته، ثم التفتت نحوي بعزم وقالت كلاماً طيباً سألخّصه لك؛ قالت: لقد وعدت صديقتي أنني لن أقول شيئاً عن هذا الأمر، والوعد هو الوعد، لكنني أجد من واجبي مساعدتها إذ قد وُجِّهت إليها مثل هذه التهمة الخطيرة، لا سيما وأن عزيزتي المسكينة لا تستطيع الدفاع عن نفسها الآن بسبب المرض. أحسب إذن أنني في حِلّ من وعدي، وسأخبرك بما حدث مساء يوم الإثنين بالتفصيل.

حدث ذلك حين كنا في طريق العودة من اجتماع الجمعية في نحو الساعة التاسعة إلا الربع، وكان لا بد لنا من أن نمرّ في طريقنا بشارع هدسون، حيث كانت حركة المرور هادئة جداً وليس ثمّة إلاّ مصباح واحد في الناحية اليسرى، وعندما اقتربنا من المصباح رأيت رجلاً يمشي باتجاهنا وظهره محني جداً، وكان يعلّق على أحد كتفيه شيئاً يشبه الصندوق، وبدا عليه أنه مشوَّه إذ كان يمشي ورأسه محني وركبتاه مقوّستان. وقد كدنا نتجاوزه حين رفع وجهه لينظر إلينا في دائرة ضوء المصباح، وحين فعل ذلك توقف وصرخ بصوت رهيب قائلاً: يا إلهي، إنها نانسي!

فشحب وجه السيدة باركلي شحوب الموتى وكادت تسقط، لولا أن الرجل ذا الشكل المفزع سارع إلى الإمساك بها، وكنت أنا على وشك أن أطلب الشرطة، إلا أنها فاجأتني وتكلمت مع الرجل بطريقة مهذّبة! قالت له بصوت مرتعش: لقد اعتقدت أنك ميت طوال ثلاثين عاماً يا هنري.



رسم سدني باجيت ١٨٩٣ Sydney Paget 1893

قال: وهكذا كنت.

كان الاستماع إلى نبرات صوت الرجل وهو يردّد هذا الكلام مريعاً، وكان وجهه مخيفاً شديد الاسمرار وفي عينيه لمعة غريبة لا تزال تطاردني في أحلامي حتى الآن، وقد غزا الشيبُ شعره وشاربَيه، وبدا وجهه مجعَّداً متغضناً كالتفاحة الذابلة!

قالت السيدة باركلي: امشي مسافة قصيرة يا عزيزتي، فأنا أرغب في محادثة هذا الرجل على انفراد، ولا تخافي من شيء.

كانت تحاول قدر جهدها أن تتحدث بوضوح، ولكنها كانت ما تزال شاحبة جداً وتُخرِج الكلمات بصعوبة من شفتيها المرتعشتين.

فعلتُ ما طلبَته مني، وتحدّثا معاً لبعض الوقت، ثم جاءت إلى آخر الشارع وعيناها تبرقان، ورأيت الرجل العاجز البائس يقف بجوار عمود المصباح ويهزّ قبضتيه في الهواء وقد تمكّن منه الغضب، ولم تنطق هي بكلمة حتى وصلنا إلى الباب، وعندها أمسكَت بيدي وتوسلَت إليّ أن لا أخبر أي شخص بما حدث. قالت: إنه أحد

أصدقائي القدامى، ولكن أحواله تدهورت.

وعندما وعدتها بأنني لن أقول شيئاً قبّلتني، ولم أرَها منذ ذلك الوقت. لقد أخبرتُك الآن -يا سيد هولمز- كل الحقيقة التي كتمتها عن الشرطة لأنني لم أدرك وقتها مدى الخطر الذي يتربص بصديقتي، وأنا الآن أدرك أن من مصلحتها أن تُعرَف الحقيقة.

كانت تلك هي تصريحاتها يا واطسون، وكانت بالنسبة إليّ -كما ترى- مثل النور في ليلة مظلمة، فكل ما كان غيرَ مترابط من قبل بدأ يتخذ مكانه الحقيقي في الحال، وتكوّن عندي إحساس داخليّ مبهَم بتتابع الأحداث، وكان من الواضح أن خطوتي التالية هي العثور على الرجل الذي ترك هذا التأثير الهائل في السيدة باركلي. لو أنه كان ما يزال في ألدرشوت فلن يكون العثور عليه بالغ الصعوبة، إذ لا يوجَد في المنطقة عدد كبير من المدنيين، ولا بدّ لرجل مشوّه مثله أن يلفت الانتباه.

أمضيت يوماً في البحث، وبحلول المساء، هذا المساء بالذات يا واطسون، استطعت أن أتتبع

أثره. اسم الرجل هو هنري وود، وهو يسكن في إحدى الغرف في نفس الشارع الذي قابل فيه السيدتين، وقد جاء إلى المنطقة منذ خمسة أيام فقط.

فقمت بانتحال شخصية وكيل تسجيلات وحظيت بمحادثة من أكثر المحادثات تشويقاً مع مالكة المنزل، ومنها عرفت أن الرجل يعمل ساحراً وممثّلاً يدور على الملاهي المخصَّصة للجنود بعد حلول الظلام ليؤدّي فيها فقرات ترفيهية، وهو يحمل معه في ذلك الصندوق حيواناً يبدو أنه يسبّب الذعر الشديد لمالكة المنزل لأنها لم ترَ مثله من قبل، ويستخدمه الرجل في القيام ببعض الحِيَل كما تقول. وقد أخبرتني صاحبة المنزل بالكثير عن حياة هذا الرجل، كما قالت أيضاً أنه من العجيب أن يعيش مثل ذلك المخلوق نظراً إلى التشوّه الشديد الذي يعاني منه، وأنه يتكلم لغة غريبة في بعض الأحيان، كما أنها سمعته يتأوه وينوح في غرفته طوال الليلتين السابقتين. وبالرغم من أنه مستقيم في تعاملاته المادّية إلا أنه حين دفع مقدَّم أجر إقامته أعطاها ما بدا لها وكأنه جنيه مزيَّف، وقد عرضَته عليّ يا واطسون فوجدتُه روبية هندية!

وهكذا -يا صديقي العزيز- أصبحتَ تعرف ما هو الموقف ولماذا أريدك معي، فمن الواضح تماماً أن الرجل قد تبع السيدتين بَعد ابتعادهما عنه، وأنه رأى الشجار بين الزوجين من خلال النافذة المفتوحة فاندفع إلى داخل الغرفة، وتحرّر المخلوق الذي يحمله معه في صندوقه فأحدث ما خبّرتك به من آثار. كل هذه الأمور حقائق مؤكّدة، ولكن هذا الرجل هو الشخص الوحيد الذي يستطيع إخبارنا بما حدث في تلك الغرفة بالضبط.

- وهل تنوى أن تسأله؟

- بكل تأكيد، ولكن بوجود شاهد.

- وهل أنا هذا الشاهد؟

- إذا تكرّمت، فإن أوضح لنا الأمر فهذا حسن، وإذا رفض فلن يكون أمامنا سوى إبلاغ الشرطة للقبض عليه.

- ولكن كيف تعرف أنه سيكون هناك عندما نعود؟

- يجب أن تتأكد من أنني قد اتخذت بعض الاحتياطات، فأحد فتياني يقف حارساً عليه،

وسوف يلازمه كظلّه ويذهب معه أينما ذهب. أنا متأكد أننا سنجده في شارع هدسون غداً يا واطسون، وحتى ذلك الوقت سأكون أنا المجرم إذا أبقيتك خارج فراشك أكثر من ذلك.

* * *

كنا في منتصف النهار حين وصلنا إلى مسرح المأساة في اليوم التالي، فاتجه رفيقي إلى شارع هدسون في الحال. وبالرغم من قدرة هولمز على إخفاء مشاعره إلا أنني لاحظت -بكل وضوح- حالة الانفعال المكبوت التي سيطرت عليه، في حين شعرت أنا بمتعة تدغدغ حواسّي كلها، وهي تنتابني دائماً عندما أشترك مع هولمز في مطارداته.

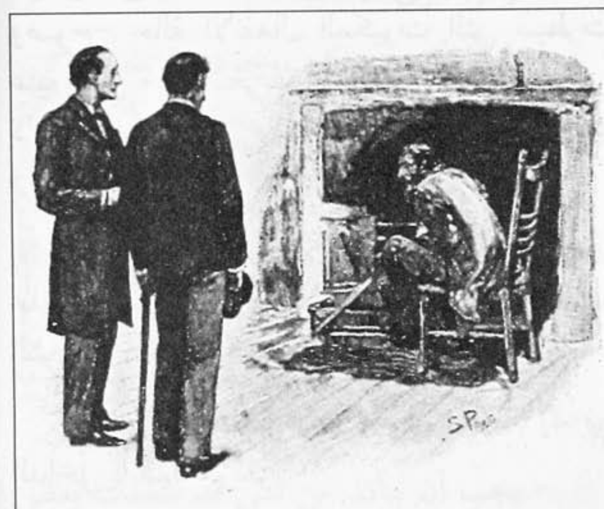
قال ونحن ننعطف لندخل في طريق قصير على جانبَيه منازل بسيطة ذات طابقَين: هذا هو الشارع، آه، وها هو سمبسون ليخبرنا بالتقرير.

صاح فتى صغير وهو يجري نحونا: إنه في الداخل يا سيد هولمز.

قال هولمز وهو يربّت على رأسه: أحسنت يا

سمبسون. هيا بنا يا واطسون، ها هو المنزل.

بعث هولمز ببطاقة تعريفه ومعها رسالة تقول إنه جاء في أمر مهم، وبعد دقيقة قابلنا الرجل الذي جئنا من أجله. وبالرغم من الطقس الدافئ كان الرجل ينحني على النار وكانت الغرفة الصغيرة حارّة كالفرن، وقد جلس محنيّاً متكوّماً في مقعده بطريقة تعطي انطباعاً بالتشوّه لا يمكن وصفه، أما وجهه الذي أداره ناحيتنا فقد بدا مرهَقاً متكدراً، ولكنه كان وجهاً ينطق بأنه كان متميّزاً بالوسامة في



رسم سدني باجيت ١٨٩٣ Sydney Paget 1893

يوم من الأيام.

نظر الرجل إلينا نظرة صفراء بعينين متشائمتين، ودون أن يقف أو يتكلم أشار إلى مقعدين.

قال هولمز بلطف: أنت السيد هنري وود، وقد جئتَ مؤخَّراً من الهند كما أعتقد. لقد جئتُ إليك بخصوص هذا الأمر البسيط المتعلق بمقتل الكولونيل باركلي.

- وما الذي يجب أن أعرفه عن هذا الأمر؟

- هذا ما أودّ التأكد منه، وأنت تعرف -على ما أظن- أن الاحتمال أكيد بأن تُحاكَم السيدة باركلي بتهمة القتل ما لم يتمّ توضيح الأمر، وهي صديقة قديمة لك.

انتفض الرجل بعنف وصاح قائلاً: أنا لا أعرف من أنت ولا أعرف كيف توصلت إلى ما تعرفه، ولكن هل تقسم على صدق ما تقوله؟

- بالطبع، إنهم ينتظرون فقط إلى أن يعود إليها رشدها ليقبضوا عليها.

- يا إلهي! هل أنت من الشرطة؟

- لا.

- ما علاقتك بالأمر إذن؟

- من واجب كل إنسان المساعدة في إقرار العدالة.

- أقسم لك إنها بريئة.

- هل أنت المذنب إذن؟

- لا ، لست كذلك.

- من قتل الكولونيل جيمس باركلي إذن؟

- قتلَته المشيئة الإلهية العادلة. ولكن لتتذكر أنني لو ضربته على رأسه فقتلته (كما تمنّيت أن أفعل) لكان ذلك أقل ما يستحقّه مني، ولو لم يقتله إحساسه بالذنب لكنت على الأرجح قد قتلته بنفسي. هل تريدني أن أقصّ عليك الحكاية؟ حسناً ، لا أدري لماذا لا أفعل ذلك، فليس لديّ ما أخجل منه.

ثم بدأ الرجل يقصّ قصّته فقال:

هذا هو الأمر يا سيدي، فإن كنت تراني الآن

وظهري يشبه ظهر الجمل وضلوعي كلها معْوَجّة فقد جاء وقت كان فيه العريف هنري وود من أوسم الرجال في السرية رقم ١١٧ مشاة، وكنا في معسكر في الهند في مكان سوف ندعوه بهورتي، وكان باركلي رقيباً في نفس سريّتي، أما جميلة الكتيبة... آه، بل وأرقّ فتاة على وجه الأرض، فقد كانت هي نانسي ديفوي ابنة رقيب الشرف. وقد أحبّها رجلان، وأحبّت هي أحدهما، ولسوف تعجب حين تنظر إلى هذا الشيء المسكين أمامك منحنياً فوق النار ثم تسمعني أخبرك أنها أحبّتني بسبب وسامتي!

حسناً، بالرغم من أنني كنت قد ملكت قلبها إلا أن والدها قرّر أن يزوجها بباركلي لأنني كنت شاباً متهوراً طائشاً، أما هو فكان متعلماً، وقد تَقلّد وسام الحرب بالفعل. ولكن الفتاة تمسّكت بي بإخلاص، وبدا وكأنني سأظفر بها عندما اندلع التمرد في أنحاء الهند كلها.

حوصرنا في بهورتي، وقد ضمّت كتيبتُنا نصفَ سَرِيّة مدفعية وسريّة من السيخ وعدداً كبيراً من المدنيين والنساء، ووقعنا جميعاً في الحصار

حيث كان عشرة آلاف متمرد يحيطون بنا وهم في غاية الحماسة كمجموعة من الكلاب تحيط بقفص فأر. نفد الماء منا في الأسبوع الثاني من الحصار تقريباً، وكانت فرصتنا الوحيدة هي الاتصال بجماعة الكولونيل نيل التي كانت تتجه إلى شمال البلاد، فلم يكن لنا أمل بالقتال وكسر الحصار ومعنا كل هؤلاء النساء والأطفال، ومن ثَمَّ تطوعت للخروج وتنبيه الكولونيل نيل إلى الخطر الذي يحدق بنا.

وقد قُبل عرضي، وناقشت الأمر مع الرقيب باركلي الذي كان من المفترَض أنه يعرف الطريق أفضل من أي شخص آخر، فرسم لي المسار الذي قد يمكّنني من التسلل بين خطوط العدوّ الثائر. وفي الساعة العاشرة من نفس الليلة بدأت رحلتي. كان هناك ألف شخص لأنقذهم، ولكنني لم أفكر إلا في شخص واحد وأنا أتخطّى الحصار في تلك الليلة.

كان طريقي يسير أسفل مجرى ماء جافّ آملاً أن يحجبني عن حرّاس العدو، ولكن عندما زحفت حول زاويته اصطدمت بستة منهم كانوا

رابضين في الظلام بانتظاري! وفي لحظة تلقّيت ضربة أفقدتني الوعي، وقُيِّدت يداي وقدماي، ولكن الضربة الحقيقية كانت موجَّهة إلى قلبي لا إلى رأسي، فعندما أفقت وأنصتّ إلى ما يمكنني فهمه من كلامهم سمعت ما يكفي لأعرف أن زميلي (وهو نفس الشخص الذي خطّط لي الطريق الذي سأمشي فيه) قد خانني عن طريق خادم هندي لأسقط في أيدي العدو!



رسم سدني باجيت ١٨٩٣ Sydney Paget 1893

حسناً، ليست بي حاجة الآن لأتوقف عند هذا الجزء، فأنتم تعرفون ما الذي يقدر جيمس باركلي على فعله. لقد فُكّ الحصار عن بهورتي في اليوم التالي، ولكن المتمردين أخذوني معهم وهم يتراجعون. ومرّت سنوات طويلة قبل أن أرى وجهاً أبيض مرة أخرى، فقد عُذّبت وحاولت الهرب فأمسكوا بي وعذّبوني ثانية، وتستطيع أن ترى بنفسك الحالة التي أوصلني ذلك كله إليها.

بعد ذلك فرّ بعض المتمردين إلى نيبال وأخذوني معهم، وحين بلغنا دارجيلِنْغ قتل أهل التلال هناك المتمردين الذين كنت معهم واحتفظوا بي عبداً لهم، حتى هربت أخيراً. ولكني اضطُررت إلى الاتجاه إلى الشمال بدلاً من الجنوب، فمضيت حتى وجدت نفسي في أفغانستان، وهناك تجولت لسنوات عديدة، ثم عدت أخيراً إلى البنجاب حيث عشت أغلب الوقت بين المواطنين وكسبت معيشتي عن طريق ممارسة الألعاب السحرية التي تعلمتها.

لم يكن في عودتي إلى إنكلترا فائدة وأنا عاجز تعِس، ولا فائدة من إظهار نفسي لزملائي

القدامى هناك، حتى رغبتي في الانتقام لم تكن لتدفعني إلى ذلك، فقد فضّلت أن تعتقد نانسي ومعها أصدقائي القدامى أنني متّ وظهري مستقيم على أن يروني أعيش وأزحف وأنا ممسك بعصا مثل الشمبانزي. ولم يشكّ زملائي في موتي قط، وكنت قد سمعت أن باركلي تزوّج نانسي وأنه يرتقي في الكتيبة بسرعة، ولكن حتى ذلك لم يكن ليجعلني أتكلم.

لكن عندما يكبر المرء يزداد حنينه إلى وطنه، وقد مرّت عليّ أعوام طويلة وأنا أحلم بحقول إنكلترا الخضراء، فقرّرت أخيراً أن أراها قبل أن أموت. وهكذا وفّرت ما يكفي لنفقات سفري، ثم جئت إلى هنا حيث يوجَد الجنود لأنني أعرف طرقهم وأعرف كيف أسلّيهم، وبذلك أكسب عيشي.

قال شيرلوك هولمز: حكايتك مثيرة للاهتمام، وقد سمعت بالفعل عن مقابلتك مع السيدة باركلي وتعرّف كل منكما على الآخر، وعندها -كما فهمت- تبعتَها إلى المنزل ورأيت مشاجرة بينها وبين زوجها من النافذة، حيث لا شكّ في أنها

واجهته بما فعله معك، فغلبتك مشاعرك وجريت عبر المرج العشبي واقتحمت عليهما الغرفة.

- لقد فعلت يا سيدي، وما إن رآني حتى بدا شكله كما لم أرَ رجلاً من قبل، ثم سقط ورأسه باتجاه إطار المدفأة. ولكنه مات قبل أن يسقط؛ لقد رأيت الموت مرتسماً على وجهه بكل وضوح، كانت مجرّد رؤيتي كرصاصة اخترقت قلبه المذنب.

- وبعد ذلك؟

- حينذاك فقدَت نانسي وعيها، فالتقطت من يدها مفتاح الباب وأنا أنوي فتحه وطلب المساعدة، ولكن حين هممت بذلك فكّرت أن من الأفضل أن أترك الأمر وأهرب لأن موقفي قد يبدو سيّئاً، وفي كل الأحوال سوف يُكتشَف سرّي إذا ما قُبض عليّ. ولأنني كنت مسرعاً فقد سهوت ووضعت المفتاح في جيبي، ثم التقطت عصاي وأنا أطارد تيدي الذي كان قد تعلق بالستارة، وحينها أدخلته إلى الصندوق الذي خرج منه وأسرعت هارباً.

سأله هولمز: مَن تيدي؟

انحنى الرجل فوق قفص كان في ركن الغرفة وفتح بابه، فخرج حيوان جميل لونه بنّي ضارب إلى الحمرة، وكان نحيفاً رشيقاً وله سيقان كسيقان ابن عرس وأنف طويل نحيل وعينان حمراوان من أرقّ الأعين التي رأيتها في رأس حيوان من قبل. صحت: إنه نمس!

قال الرجل: حسناً، البعض يطلقون عليه هذا الاسم، أما أنا فأدعوه صيّاد الثعابين، فتيدي هذا سريع جداً مع الكوبرا، وعندي هنا واحدة منها منزوعة الأنياب، وتيدي يمسك بها كل ليلة ليسلّي الناس في العروض التي أقدّمها.

ثم التفت إلى هولمز وقال: هل من شيء آخر يا سيدي؟

- حسناً، يمكن أن نطلبك ثانية إذا ثبت أن السيدة باركلي في مشكلة حقيقية.

- في تلك الحالة سأتقدم بالطبع.

- ولكن إن لم يحصل هذا فلا فائدة من إحياء هذه الفضيحة ضدّ رجل ميت. وبالرغم من تصرّفه المَقيت فمن المريح لك -على الأقل- أن تعرف

أن ضميره قد ظل يؤنّبه بمرارة طَوال ثلاثين عاماً بسبب فَعْلته الشريرة.

ثم نظر هولمز إلى الناحية الأخرى من الشارع وقال: ها هو الميجور مورفي. إلى اللقاء يا سيد



رسم سدني باجيت ١٨٩٣ Sydney Paget 1893

وود، فأنا أريد معرفة ما إذا كان قد جدّ أي جديد منذ الأمس.

وصلنا في الوقت المناسب لنسبق الميجور مورفي قبل وصوله إلى الزاوية، وحين التقى بنا قال: هولمز، لعلك سمعت أن كل هذه الضجة قد انتهت إلى لا شيء؟

- ماذا حدث؟

- لقد انتهى التحقيق الآن؛ وقد أثبت الفحص الطبي أن الموت كان نتيجة سكتة دماغية. لقد كانت قضية بسيطة بالرغم من كل شيء.

قال هولمز وهو يبتسم: أجل، لقد كانت سطحية جداً. هيا يا واطسون؛ لا أظنّ أن لوجودنا في ألدرشوت ضرورة بعد الآن.

❊ ❊ ❊

-تمت-

20

The Adventures of Sherlock Holmes





The Adventure of the Crooked Man

مغامرات

شيرلوك هولمز

تأليف: آرثر كونان دويل

ISBN 2-1957-3377-9
9782195733770

الأجيال
للترجمة والنشر
AJYAL Publishers